مجدي السيد إبراهيم

# دموع وأمزان في حياة الرسول ﷺ

مكتبة القرآن
للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القماش بالفرنساوى - بولاق
القاهرة - ت: ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٤

obeikandl.com

# وكلاء التوزيع

## السعودية

### مكتبة السّاعي

الرياض : ت ٤٣٥٣٧٦٨ فاكس ٤٣٥٥٩٤٥ فرع جدة ت ٦٥٣٢٠٨٩
القصيم - بريدة : ت ٣٢٣١٤٣٤ - المدينة المنورة - ت ٨٢٤٢٧٧٥
ص.ب : ٥٠٦٤٩ - ١١٥٣٣ الرياض

### كنوز المعرفة

جدة ت ٦٥١٠٤٢١ فاكس ٦٤٤٢٢٧٣ ص.ب : ٣٠٧٤٦ جدة ٢١٤٨٧

## المغرب

### دار المعرفة

40 شارع فيكتور هيكو - الدار البيضاء
ص.ب : 4150 ☎ 300567 - 309520

### المكتبة السلفية

12 حي الداخلة - زنقة الإمام القسطلاني - الدار البيضاء
☎ 307643

## الإمارات

### دار الفضيلة

دبي - ديرة - ص.ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦

## البحرين

### دار الحكمة

ص.ب : ٢٣٨٧٥ هاتف ٣٢٦٠٣٢

جميع الحقوق محفوظة للناشر

obeikandl.com

obeikan.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله :

نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله **﴿ يٰأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾**(*) **﴿ يٰأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾**(**).

**﴿ يٰأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم * ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيماً ﴾**(***).

---

* سورة آل عمران : ١٠٢ .

** سورة النساء : ١ .

*** سورة الأحزاب : ٧٠ - ٧١ .

obeikandl.com

# القدوة والأسوة فى حياة الرسول ﷺ

**أخى المسلم .. أختى المسلمة ..**

قدوة كل مسلم ومسلمة هو النبى ﷺ، وأسوة كل مؤمن ومؤمنة هو الرسول ﷺ .

قال الله تعالى :

**﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ﴾** والأسوة : القدوة ، والأسوة ما يتأسى به ، أى يُتعزى به ، فيقتدى به فى جميع أحواله .

وفى هذا الكتاب الذى بين أيدينا نجد بعض المواقف النبوية التى سقطت فيها دموعه شفقة على غيره ، أو رحمة بأمته نتأمل فيها ، ونتدبر معانيها .

والمرء فى زماننا أحوج ما يكون إلى التأسى برسوله ﷺ وليس هذا من باب المندوب إليه ، بل إن التأسى به من الأمور التى أوجبها علينا القرآن الكريم ، والسنة النبوية[1].

فالقرآن الكريم يعلمنا أن رحمة الله ستكون من نصيب من يتبعون الرسول ﷺ .

قال الحق تبارك وتعالى فى محكم التنزيل :

**﴿ ورحمتى وسعت كل شىء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى .. ﴾**[2].

---

(١) انظر : كتاب الأمر بالاتباع للسيوطى - طبع بمكتبة القرآن سنة ١٩٨٧ م - بتحقيق الأستاذ مصطفى عاشور .

(٢) سورة الأعراف : ١٥٦ - ١٥٧ .

وأرشدنا القرآن الكريم إلى أن الفلاح هو مصير الذين اتبعوه ، فقال عز وجل :

﴿ **فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون** ﴾[1]

وبيَّن لنا القرآن الكريم أن الهداية من نصيب من اتبعوه ﷺ ، فقال تبارك وتعالى :

﴿ **واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾[2].

ولكى يصل العبد إلى محبة الله تعالى ، وينال مغفرة الذنوب ، فعليه أن يتبعه ﷺ ، فقال جل شأنه :

﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾[3].

بل إن الذين لا يتبعون الرسول ﷺ يعرضون أنفسهم للعذاب الأليم .

قال تقدست أسماؤه :

﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾[4] .

والأسوة فى حياة الرسول ﷺ فى أقواله ، وأفعاله ، وتقريراته .

لذا فقد وفقنى الله تعالى إلى إعداد هذا البحث فى جانب من الجوانب التى عاشها النبى ﷺ **وهو جانب رقة القلب ، وشدة شفقته المؤدية بدورها إلى الحزن والبكاء .**

والمسلم فى حاجة إلى هذا البحث ليتعلم ما هى الأمور التى ينبغى أن يقف عندها ، ويتمثل فيها برسوله ﷺ ، وليتأثر كما تأثر

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٧ .
(٢) سورة الأعراف : ١٥٨ .
(٣) سورة آل عمران : ٣١ .
(٤) سورة النور : ٦٣ .

هو ، وليحزن كما حزن هو ، بل ويبكى كما بكى ﷺ .

وفى هذا التأثر نجد نوعاً من المتابعة للنبى ﷺ ، وفى هذه المتابعة الوصول إلى رضا الرحمن ، والزحزحة عن النيران ، والوصول إلى الجنان

**وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب ، وإليه المصير**

**مجدى فتحى السيد إبراهيم**
**طنطا - مصر**

obeikandl.com

obeikandl.com

١ – دموعٌ عند سماع القرآن .

٢ – أنين وبكاء فى الصلاة .

٣ – دموعٌ خوفاً من عقاب الله .

٤ – دموع الرحمة لموت الحفيد .

٥ – دموعٌ وأحزان لوفاة عثمان .

٦ – رأيت عينيه تدمعان .

٧ – بكاء خوفاً على الأمة .

٨ – بكاء فى بيت سعد بن عبادة .

obeikandl.com

obeikandl.com

# دموعٌ عند سماع القرآن

عن عبدالله بن مسعود – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ :

**« أقرأ علىَّ القرآن ؟ » .**

**قلت : يارسول ، أقرأ عليك ، وعليك أُنزل ؟**

**قال : « إنى أشتهى أن أسمعه من غيرى »**

**فقرأت سورة النساء حتى بلغت ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾**[1].

**قال : « حسبك »**[2] **فرفعت رأسى ، فإذا دموعه تسيل .**

هذا الحديث النبوى يجسد موقفاً من المواقف التى نزلت فيها دموع الرسول ﷺ تفكراً وتدبراً فى كتاب الله تعالى .

والمرء المؤمن يقف بين يدى الله تعالى فى كل يوم خمس مرات ، يناجيه ، ويدعوه ، ويسترحمه ، ويستعطفه ، ونزول الدموع عند قراءة القرآن إنما هو أثرٌ من آثار الصدق مع الله تعالى .

وقراءة القرآن قد تكون فى الصلاة أوفى خارجها ، والموقف الذى نعيش معه فى قراءة القرآن خارج الصلاة .

وفى هذا الموقف يجتمع كلٌّ من الرسول ﷺ ، وابن مسعود – رضى الله عنه – ، ويطلب الرسول ﷺ من ابن مسعود أن يقرأ عليه القرآن .

وهنا يتعجب ابن مسعود ، كيف يجلس قارئاً ، والرسول ﷺ مستمعاً ، إنه لأمر عجاب !! .

---

(١) سورة النساء : ٤١ .

(٢) حديث صحيح . أخرجه البخارى (١٨٠/٥) ، (١١٢/٦ ، ١١٣ ، ١١٤) ، وأحمد (٣٨٠/١ ، ٤٣٣) ومسلم (٢٤٧) ، وابن أبى شيبة (٥٦٣/١٠) ، (٢٥٤/١٣) ، وابن المبارك (ص/٣٦) فى الزهد ، وأبو داود (٣٦٦٨) ، والترمذى (٣٠٢٥) ، والبغوى (٤٩١/٤) فى شرح السنة .

الرسول ﷺ الذى أُنزل عليه القرآن الكريم من رب العالمين ، يطلب من غيره أن يقرأ عليه .. !! .

ولكن سرعان ما أزال الرسول ﷺ . العجب ، وأزاح الحيرة التى أحس بها ابن مسعود – رضى الله عنه – ، بأن أخبره أنه يحب أن يسمعه من غيره .

وهنا يعلمنا بعض أهل العلم أنه يحتمل أن يكون أحب سماع القرآن من غيره ، ليكون عرض القرآن سنة .

كما يحتمل أن يكون لكى يتدبره ، ويفهمه .

ولذلك قالوا : القارىء كالحالب ، والسامع كالشارب .

بدأ عبدالله بن مسعود قراءة سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى :

﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا** ﴾ .

وهنا يقول الرسول ﷺ لابن مسعود : « **كف** » أو « **أمسك** » ينظر ابن مسعود إلى الرسول ﷺ فإذا عيناه تذرفان بالدموع .

لقد بكى النبى ﷺ ، وسالت دموعه ، لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة ، وشدة الحال يومئذٍ ، وهو أمر يحق له طول البكاء ! .

لقد سالت دموعه ﷺ شفقة على أمته ، لأنه علم أنه لابُدّ أن يشهد عليهم بعملهم ، وعملهم قد لا يكون مستقيماً ، فقد يفضى بهم إلى الهلاك .

وهكذا أراد أن يعلمنا أن نستحضر قلوبنا عند سماع القرآن ، ونستحضر ما فيه من وعد ووعيد ، وترغيب وترهيب ، وذكر الجنة والنار .

ولقد تعلم سلفنا الصالح هذه الصفة الطيبة ، صفة البكاء عند قراءة القرآن من النبى ﷺ ، وجعلوه قدوة لهم .

وهذه أمثلة حية على التأسى بالرسول ﷺ فى هذه الخصيصة الطيبة .

# بكاء السلف الصالح عند سماع القرآن

● يحكى لنا عروة بن الزبير – رحمه الله – عن موقف شاهده بنفسه ، يقول :

كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة – رضى الله عنها – وكانت خالته – ، فأسلم عليها ، فغدوت يوماً ، فإذا هى قائمة تسبح ، وتقرأ وهى قائمة تصلى :

﴿ **فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم** ﴾[1] .

وتدعو ، وتبكى ، وترددها ، فقمت خلفها حتى مللت القيام ، فذهبت إلى السوق لحاجتى ، فإذا هى قائمة كما هى تصلى وتبكى .

عندما نتأمل فى خشوعها – رضى الله عنها – نجد التفكر والتدبر ، والخضوع ، والتأثر لما تقوله ، وتقرؤه ، حتى إنها لتكرر الآية الواحدة لفترة زمنية ليست بالقصيرة .

إن بكاءها يحرك الخجل فى قلوبنا من تقصيرنا ، بل تفريطنا فى حق ربنا .

●● ويذكر أن عمر بن ا لخطاب – رضى الله عنه – أنه صلى بالجماعة الصبح ، فقرأ سورة يوسف ، فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته .

●●● ويروى أبو رجاء أنه كان يرى ابن عباس ، وتحت عينيه مثل الشراك[2] البالى من الدموع .

●●●● وقدم ناسٌ من أهل اليمن على أبى بكر الصديق – رضى الله عنه – فجعلوا يستمعون إلى القرآن وهو يتلى عليهم ، فلما سمعوا بكوا ، فقال أبوبكر : هكذا كنا حتى قست منا القلوب !! .

فالبكاء عند سماع القرآن من صفات الأنبياء ، والصالحين .

---

(١) سورة الطور : ٢٧ .

(٢) الشراك : سير النعل على ظهر القدم .

وهذا الحديث النبوى يعلمنا ما يلى :

١ – أن عرض القرآن ، وقراءته على الغير سنة .

٢ – أن الفاضل لا ينبغى له أن يتكبر عن سماع المفضول .

٣ – جواز أمر السامع للقارىء بقطع القراءة إذا طرأ طارىء .

٤ – قراءة القرآن فى المجالس مندوبٌ إليها .

٥ – التدبر والتفكر عند قراءة القرآن أو سماعه من الآداب التى ينبغى التمسك بها .

**ونكمل المسير مع موقفٍ آخر من مواقف الدموع والحزن فى حياة الرسول ﷺ .**

obeikandl.com

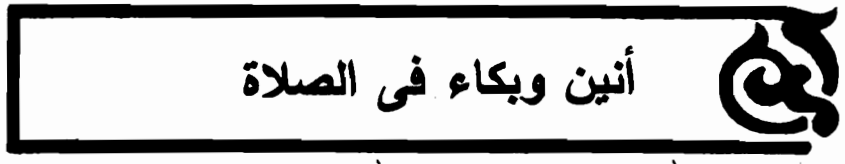

# أنين وبكاء فى الصلاة

**عن عبدالله بن الشخير – رضى الله عنه – قال :**

**« رأيت رسول الله ﷺ يصلى ، وفى صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء »**[1] .

أزيز : غليان ، وقيل : صوت الغليان ، ومعناه : الأنين والحنين من الخوف ، وهو صوت البكاء .

المرجل : القِدْر ، من النحاس ، أو الحَجر ، أو الحديد ، أو هو القِدْر مطلقاً . موقفٌ آخر من المواقف التى بكى فيها النبى ﷺ ، وسالت دموعه .

يقف ﷺ بين يدى الله تعالى منيباً ، ومتبتلاً إليه ، يدعوه ، ويثنى عليه ، ويستمطر رحماته ، ويطلب عفوه وعفايته .

ولكن لقد كان النبى ﷺ يصلى ، ويسمع من بجواره صوت البكاء ، وأنين الخوف من صدره الشريف ، حتى كأن الأنين يشبه غليان الماء فى القدر فوق النار .

وهذا يوضح لنا كمال خشيته ، وشدة خوفه ، وكمال خضوعه لربه ، وكل ذلك يبين كمال عبوديته ﷺ لله رب العالمين .

ورحم الله ابن القيم عندما قال :

للعبد بين يدى الله موقفان : موقفٌ بين يديه فى الصلاة ، وموقفٌ بين يديه يوم لقائه ، فمن قام بحق الموقف الأول هوّن عليه الموقف الآخر ، ومن استهان بهذا الموقف ، ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف[2].

قال الله تعالى : ﴿ **ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً** ﴾[3].

---

(١) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٢٥/٤) ، وابن المبارك (١٠٩) ، وأبو داود (٩٠٤) ، والترمذى ( ص/٢٢٢)فى الشمائل ، وابن حبان (٥٢٢) ، والحاكم (٢٦٤/١) وصححه ، وأقره الذهبى ، والبيهقى (٣٥٧/١) فى دلائل النبوة ؛ و (٢٥١/٢) فى السنن الكبرى .

(٢) انظر : الفوائد (ص/١٤٩) .

(٣) سورة الإنسان : ٢٦ – ٢٧ .

**فالرسول ﷺ خير من قام بحق الموقف الأول مع أمنه ونجاته يوم القيامة ، وما ذاك إلا ليعلمنا الخوف من الله تعالى ، والخشوع فى الصلاة .**

**فهلا تأسينا برسولنا ﷺ ، واقتدينا بأفعاله ؟! .**

أرجو من الله تعالى هذا .

ومن الأحكام التى نستخلصها من هذا الموقف ما يلى :

١ – أن الصوت ، غير المشتمل على الحروف لا يضر فى الصلاة ، ولا حرج فى ذلك .

٢ – أكمل الناس خوفاً وخشية من الله ، لله هو النبى ﷺ .

٣ – البكاء فى الصلاة من علامات الخشوع لله عز وجل .

**ومع دموع وأحزان الرسول ﷺ نكمل المسير .**

obeikandl.com

# دموعٌ خوفاً من عقاب الله

عن عبدالله بن عمرو – رضى الله عنه – قال :

**انكسفت الشمس يوماً على عهد رسول الله ﷺ ، فقام رسول الله ﷺ يصلى حتى لم يكد يركع ، ثم ركع فلم يكد يرفع رأسه ، ثم رفع رأسه فلم يكد أن يسجد ، ثم سجد فلم يكد أن يرفع رأسه ، ثم رفع رأسه فلم يكد أن يسجد ، ثم سجد فلم يكد أن يرفع رأسه فجعل ينفخ ويبكى ، ويقول :**

**« رب ألم تعدنى ألا تعذبهم وأنا فيهم ؟! ، رب ألم تعدنى ألا تعذبهم وهم يستغفرون ، ونحن نستغفرك ؟! » .**

**فلما صلى انجلت الشمس ، فقام ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :**

**« إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينكسفان لموت أحد ، ولا لحياته ، فإن انكسفا فافزعوا إلى ذكر الله »(١).**

**قوله « انكسفت » : الكسوف : ذهاب نور الشمس كله أو بعضه ، والأشهر أن الكسوف للشمس ، والخسوف للقمر ، وقد يتبادلان اللفظين .**

**هذا الموقف يصور لنا صورة لحالة من الحالات التى نزلت فيها دموع الرسول ﷺ .**

**فلقد ذهب ضوء الشمس كله أو بعضه على عهد الرسول ﷺ ، وشاء الله تعالى أن يكون ذلك فى نفس اليوم الذى يموت فيه إبراهيم ابن رسولنا ﷺ ، وهنا يثار حوار بين الناس :**

**هل كسفت الشمس حزناً لموته ؟! .**

**بين مؤيدٍ ورافضٍ دار حديث الناس ، فخرج إليهم النبى ﷺ ، وأعلنها**

---

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٢/٤٤ و ٤٦ و ٤٩) ، ومسلم (٩١٠) مختصراً ، وأحمد (١/٢٩٨ ، ٣٥٨) ، (٣/٣١٨) ، وأبو داود (١١٩٤) . والنسائى (٣/١٢٤ ، ١٢٧) ، وابن ماجه (١٢٦١) ، (١٢٦٢) ، ومالك (١٨٦) فى الموطأ ، عبد الرزاق (٤٩٢٥) ، وابن أبى شيبة (٢/٤٦٧ ، ٤٧١) ، وابن حبان (٥٩٤) . وابن خزيمة (١٣٧٢) ، (١٣٧٤) ، والبغوى (٤/٣٦٢) فى شرح السنة .

**عالية مدوية :**

**« إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته »** .

ولكن هاهو رسولنا ﷺ يبكى وهو يصلى ، وتنزل دموعه ، يناجى ربه أن يرفع هذا البلاء ، وينجى العباد والبلاد .

فلما صلى النبى ﷺ انجلت الكربة ، لقد انكشفت الشمس ، وظهر نورها ، وأحس الكل أن الله قد رضى عن عباده ، وتقبل دعاء نبيه ﷺ .

وقوله : **« إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله »** معناه : أنهم فى الجاهلية كانوا يزعمون أن كسوف الشمس والقمر يُوجب حدوث تغيير فى العالم : من موتٍ وضررٍ ، ونقصٍ ونحوها ؛ فأعلم النبى ﷺ صحابته أن ذلك باطل ، وأن خسوفهما آيتان من آيات الله ليعلموا أنهما خلقان مسخران ، ليس لهما سلطانٌ فى غيرهما ، ولا قُدرة لهما على الدفع عن أنفسهما ، وأمر عند كسوفهما بالفزع إلى ذكر الله تعالى ، والصلاة إبطالاً لقول الجهال الذين يعبدونهما ، ونفياً للفعل عنهما ، وتحقيقاً أن ذلك من الله تعالى[1].

وقيل : إنما أمر بذلك لأنهما من الآيات الدالة على قرب الساعة ، كما قال الله عز وجل **﴿ فإذا برق البصر وخسف القمر ﴾**[2].

وقد يكون ذلك آية يخوف بها الناس ليفزعوا إلى التوبة ، والاستغفار ، قال تعالى : **﴿ وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ﴾**[3].

ومن هذا الموقف النبوى نتعلم ما يلى :

١ – إبطال ما كان عليه الناس فى الجاهلية من اعتقاد أن الكسوف يوجب حدوث تغير فى الأرض من موتٍ أو ضررٍ ، فأعلم النبى ﷺ أنه اعتقاد باطل .

٢ – إبطال ما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من تأثير الكواكب فى الأرض .

---

(١) شرح السنة (٣٦٣/٤) للبغوى .
(٢) سورة القيامة : ٧ – ٨ .
(٣) سورة الإسراء : ٥٩ .

**٣ – ما كان عليه النبى ﷺ من الشفقة على أمته ، وشدة الخوف من ربه .**

٤ – الالتجاء إلى الله عند المخاوف بالدعاء والاستغفار سببٌ لمحو ما فرط من العصيان يرجى به زوال المخاوف ، وأن الذنوب سبب البلاء ، والعقوبات الآجلة والعاجلة .

٥ – يؤخذ من الحديث استحباب الخطبة للكسوف .

**ومع موقف من مواقف الدموع والأحزان فى حياة رسولنا ﷺ ، نكمل المسير .**

obeikandl.com

# دموعُ الرحمة لموت الحفيد

عن أسامة بن زيد – رضى الله عنه – قال :

**كنا عند النبى ﷺ ، فأرسلت إليه أحدى بناته تدعوه ، وتخبره أن صبياً لها ، أو ابناً لها فى الموت ، فقال للرسول :**

**« ارجع إليها فأخبرها : أن لله ما أعطى ، ولله ما أخذ ، وكل شىء عنده بأجل مسمى ، فمرها فلتصبر ولتحتسب » .**

**فعاد الرسول فقال : إنها قد أقسمت لتأتينها ، قال : فقام رسول الله ﷺ ، وقام معه سعد بن عبادة ، ومعاذ بن جبل ، وانطلقت معهم ، فرفع إليه صبى ونفسه تقعقع كأنها فى شنة ، ففاضت عيناه .**

**فقال له سعد : ما هذا ، يا رسول الله ؟ .**

**قال : « هذه رحمة ، جعلها الله فى قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء »**[1].

**أخى المسلم .. أختى المسلمة ..**

الأولاد نعمةٌ جليلةٌ من نعم الله علينا ، بهم تعمر البلدان ، وتتحقق سعادة الآباء والأمهات ، وتجمل الحياة فى أعين بنى آدم .

وصدق القائل بقوله : الأولاد هم ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمنحوك ودهم ، ويحبوك جهدهم .

ولقد سئل الإمام على –رضى الله عنه – : أى أولادك أحب إليك ؟.

فقال : الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يعود .

---

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (١٠٠/٢) ، (١٥٢/٧) ، ومسلم (٩٢٣) ، أحمد (٢٠٤/٥) ، وعبد الرزاق (٦٦٧٠) ، وأبو داود (٣١٢٥) ، والبغوى (٤٢٦/٥) فى شرح السنة ، والبيهقى (٦٥/٤) فى سننه ، وبنحوه أخرجه أحمد (٢٧٣/١) ، والنسائى (١٢/٤) من حديث ابن عباس – رضى الله عنه

ولكن يبتلى المولى جل جلاله عبده المؤمن . فيموت الصغير ، ويرحل عن دنيا الكبير ، وهنا يعلمنا الإسلام أن على المرء المسلم ، والمرأة المسلمة الصبر ، والاحتساب ، والاسترجاع بقول : إنا لله ، وإنا إليه راجعون ، مع الرضا بقضاء الله وقدره .

ولنتدبر هذا الموقف بين على بن أبى طالب ، وعدى بن حاتم – رضى الله عنهما – نظر علىٌّ إلى عدى بن حاتم فوجده كئيباً ، فقال : ياعدى ، مالى أراك كئيباً حزيناً ؟ فقال عدى : وما يمنعنى ، وقد قتل ابناى !! .

فقال علىٌّ : يا عدى ، من رضى بقضاء الله جرى عليه ، وكان له أجرٌ ، ومن لم يرض بقضاء الله جرى عليه ، وحبط عمله .

فالرضا باب الله الأعظم ، وهو جنة الدنيا ، ومستراح العابدين . وعندما نتأمل فى روضة السنة النبوية نجد ثواب من صبر ، واحتسب على فقد الأولاد .

وتعلمنا السنة النبوية أن من صبر على فقد الأولاد ، فقد تحصن بحصن حصين من النار .

وترشدنا السنة النبوية أن من استرجع واحتسب فقد صار من أهل الجنات ، والريحان .

وتوضح لنا السنة النبوية أن الله تعالى إنما يختبر العباد بقدر مالديهم من إيمانٍ ، فإن كان إيمانهم عظيم القدر ، شدد الله عليهم فى البلاء ، وإن كان فى دينهم رقة ، خفف عليهم من البلاء .

وتجلى لنا السنة النبوية حقيقة طالما غابت عنا ، وهى أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له ، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له

وفى هذا الموقف الذى بين أيدينا يوضح لنا كمال شفقته ﷺ وسعة رحمته .

لقد أُبلغ ﷺ بوفاة أحد أحفاده ، فما كان منه إلا أن علمهم أن الذى أخذه الله تعالى هو الذى كان قد أعطاه ، فإن أخذه فقد أخذ ما هوله ، فلا ينبغى الجزع ، لأن مستودع الأمانة لا ينبغى له أن يجزع إذا استعيدت منه .

فكل من الأخذ والإعطاء بمقدار معلوم[1].

ويأمر النبى ﷺ ابنته بالصبر والاحتساب ، ويأمرها أن تنوى بصبرها طلب الثواب من ربها ، ليحسب لها ذلك من عملها الصالح .

وهاهو النبى ﷺ يُدفع إليه الصبى ، ونفسه تخرج من بدنه ، إنها تقعقع ، والقعقعة : حكاية صوت الشىء اليابس إذا حرك .

جسم الصبى ذابل ، ونفسه تتردد فى الخروج ، وهنا لا يملك النبى ﷺ دموعه ، فتفيض عيناه بالدموع شفقة على الصغير .

وهنا يسأل الرسول ﷺ : يا رسول الله ، أتبكى ، وتنهى عن البكاء ؟! .

ويجيب الرسول ﷺ معلماً الصحب الكرام أن هذه الدموع هى من آثار الرحمة .

وكأنه أراد أن يقول لهم : إن الذى يفيض من الدمع من حزن القلب بغير تعمدٍ من صاحبه ، ولا استدعاء لا مؤاخذة عليه ، وإنما المنهى عنه الجزع ، وعدم الصبر .

ويوضح هذا المعنى العلامة النووى[2] فيقول :

**معناه** : أن سعداً ظن أن جميع أنواع البكاء حرامٌ ، وأن دمع العين حرامٌ ، وظن أن النبى ﷺ نسى فذكره ، فأعلمه النبى ﷺ أن مجرد البكاء ، ودمع العين ليس بحرامٍ ، بل هو رحمة ، وإنما المحرم النوح ، والندب ، والبكاء المقرون بهما ، أو بأحدهما .

وهذا الموقف من مواقف الرسول ﷺ يعلمنا ما يلى[3]:

١ – جواز استحضار ذوى الفضل للمحتضر لرجاء بركتهم ، ودعائهم ، وجواز القسم عليهم لذلك .

٢ – جواز المشى إلى التعزية ، والعيادة بغير إذن بخلاف الوليمة .

٣ – جواز إطلاق اللفظ الموهم لما لم يقع بأنه يقع مبالغة فى ذلك لينبعث

---

(١) انظر : الفتح ( ١٥٧/٢ ) .

(٢) شرح النووى على مسلم (٢٢٥/٦) . (٣) الفتح (١٥٨/٢) .

خاطر المسئول فى المجىء للإجابة إلى ذلك .

٤ – فيه استحباب إبرار القسم ، وأمر صاحب المصيبة بالصبر قبل وقوع الموت ليقع وهو مستشعر بالرضا ، مقاوماً للحزن بالصبر .

٥ – تقديم السلام على الكلام .

٦ – عيادة المريض ولو كان مفضولاً أو صبياً صغيراً .

٧ – إن أهل الفضل لا ينبغى أن يقطعوا الناس عن فضلهم ، ولو ردوا أول مرة .

٨ – حسن الأدب فى السؤال لتقديمه قوله « **يا رسول الله** » على الاستفهام .

٩ – الترغيب فى الشفقة على خلق الله ، والرحمة لهم ، والترهيب من قساوة القلب ، وجمود العين .

١٠ – البكاء من غير نوح أو ندب ، أو سخط .

وهكذا نجد كل الخير فى التأسى بمواقفه ﷺ ، التأسى فى الضراء ، كما نتأسى به فى السراء ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

# دموعٌ وأحزان لوفاة عثمان بن مظعون

عن عائشة – رضى الله عنها – قالت :

« **دخل رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون ، وهو ميتٌ ، فأكب عليه ، وقبله ، ثم بكى حتى رأيت الدموع تسيل على وجهه** »(١).

« عثمان بن مظعون » صحابى جليل ، له مناقب عديدة ، ومآثر كثيرة لقد كان فاضلاً قبل الإسلام وبعده .

فلقد حرَّم الخمر فى الجاهلية على نفسه ، وقال : لا أشرب شيئاً يُذْهِبُ عقلى ، ويُضحك بى من هو أدنى منى ، ويحملنى على أن أُنكح كريمتى من لا أريد .

وفى الإسلام هاجر إلى الحبشة لهجرتين ، وشهد بدراً ، وكان عابداً زاهداً ، وهو أول من دُفن فى البقيع .

والآن عثمان بن مظعون قد صعدت روحه إلى بارئها ، وفى لقائه الأخير بأهله وأصحابه ، وهو مسجى على سرير الموت يأتيه النبى ﷺ ، وينكب على جثمانه يقبله شفقة ورحمة حتى نزلت دموعه ﷺ .

وهنا نتعلم أن بكاء النبى ﷺ لم يكن أسفاً عليه ، بل رحمة له ، وشفقة عليه . كما نتعلم من هذا الموقف أن ما شاع بين العوام من أن تقبيل الميت غير جائز ، هذا من بدع العوام ، وخرافاتهم .

فها هو النبى ﷺ يبكى صحابياً بعد موته ويقبله ، وتنزل منه الدموع سخية . بل وبعد موت الرسول ﷺ يدخل عليه أبو بكر ويقبله ، وهو يبكى .

---

(١) حديث حسن . أخرجه أبو داود (٣١٦٣) ، وأحمد (٦/٤٣ ، ٢٠٦) ، والترمذى (٩٩٤) ، وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (١٤٥٦) ، والحاكم (٣/١٩٠) وصححه مع أن فيه عاصم ابن عبيدالله من الضعفاء ، ولكن يشهد له حديث معاذ بن ربيعة ، رواه البزار (٨٠٦) ، وقال الهيثمى فى المجمع (٣/٢٠) : إسناده حسن .

يروى ابن عباس – رضى الله عنهما يحدث أن أبابكر الصديق – رضى الله عنه – دخل المسجد ، وعمر – رضى الله تعالى عنه – يحدث الناس ، فمضى حتى أتى البيت الذى توفى فيه رسول الله ﷺ ، وهو بيت عائشة – رضى الله عنهما – فكشف عن وجهه بردة حبرة كان مسَجَّى عليه ، فنظر إلى وجه النبى ﷺ ثم أكب عليه فقبله ، قال :

« **أما والله لا يجمع الله عليك موتتين أبداً** »[1].

**فنتأسى بالرسول ﷺ فى هذا الموقف ولنقبل موتانا بلا حرج رحمة لهم ، وشفقة عليهم .**

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (١٢٤١) ، (١٢٤٢) .



obeikandl.com

# رأيت عينيه تدمعان

عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – قال :

**« شهدت ابنة لرسول الله ﷺ ، ورسول الله جالس على القبر، فرأيت عينيه تدمعان ، فقال : « أفيكم رجل لم يقارف الليلة »**[1].

**قال أبو طلحة : أنا .**

**قال : « فانزل » فنزل فى قبرها » .**

موقف مؤثر : القبر وأهواله ، حيث التراب ، والظلمة ، والدود ، والغربة ولكن نرجع قليلاً إلى الوراء حيث نجد أن أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ قد فارقت دنيا الناس إلى لقاء رب الناس ، وحملت على الأعناق .

والآن قد وضعت الخشبة من على أعناق الرجال ، وجلس الرسول ﷺ على شفير القبر ، وعيناه يسيل دمعهما ، شفقة على ابنته ، ورحمة عليها .

وهنا يسأل الرسول ﷺ أصحابه هذا السؤال :

**« هل منكم رجلٌ لم يقارف الليلة ؟ » .**

وقوله **« يقارف »** : المقارفة فى الأصل : ارتكاب الذنوب ، وهى هنا كناية عن الجماع .

فأجاب أبو طلحة الأنصارى : أنه لم يأت أمرأته هذه الليلة ، فأمره النبى ﷺ أن ينزل القبر ، فنزل قبرها ليلحدها ، ويواريها التراب .

وهنا يطرأ تساؤل ألم يكن من الأولى أن ينزلها – رضى الله عنها – زوجها عثمان بن عفان – رضى الله عنه – ؟ .

يذكر ابن حبيب أن السر فى إيثار أبى طلحة على عثمان ، أن عثمان كان قد جامع بعض جواريه فى تلك الليلة ، فتلطف ﷺ فى منعه من النزول فى قبر زوجته بغير تصريح .

---

(١) حديث صحيح . أخرجه أحمد (١٢٦/٣ ، ٢٢٨) ، والبخارى (١١٤/٢) ، والترمذى (٣١٢) فى الشمائل ، وابن سعد (٢٦/٨) فى طبقاته ، والبيهقى (٥١٣/٤) فى سننه .

وهذا الموقف النبوى ، وما حدث فيه يعلمنا مايلى[1]:

١ - جواز البكاء على الميت من غير سخطٍ ، ولا ندب ، ولا صراخ .

٢ - جواز الجلوس على شفير القبر عند الدفن .

٣ - إدخال الرجال المرأة قبرها لكونهم أقوى على ذلك من النساء .

٤ - إيثار البعيد العهد عن الملاذ فى مواراة الميت - ولو كان امرأة - على الأب والزوج .

٥ - فيه فضيلة عثمان - رضى الله عنه - لإيثاره الصدق ، وإن كان عليه فيه غضاضة .

**ورحم الله عثمان ، ونكمل المسير مع مواقف البشير النذير .**

(١) الفتح (٢/١٥٩) .



obeikandl.com

# بكاء خوفاً على الأمة

عن عبد الله بن عمرو أن النبى ﷺ تلا قول الله عز وجل فى إبراهيم : ﴿ **رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعنى فإنه منى** ﴾[1] **الآية** .

وقال عيسى عليه السلام : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾[2].

**فرفع يديه ، وقال : « اللهم أمتى أمتى » وبكى .**

فقال الله عز وجل : « **يا جبريل ، اذهب إلى محمد ، وربك أعلم ، فسله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله ، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال ، وهو أعلم .**

**فقال الله : « ياجبريل ، اذهب إلى محمد ، فقل إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسؤك »**[3] .

موقفٌ رائعٌ يصور لنا مدى شفقة الرسول ﷺ على أمته ، ورحمته . يتذكر رسولنا ﷺ دعوات الأنبياء الذين سبقوه إلى الله تعالى ، فيرفع يديه ، يدعو ربه : « **اللهم أمتى .. أمتى ..** » .

ويبكى ﷺ خوفاً على مصير أمته فى يوم القيامة ، حيث الحسرة والندامة .

فيطمئن نبينا ﷺ على مصير أمته ، فيرضيه الله تعالى ، ولا يسوءه .

إنه موقفٌ قصيرٌ بكى فيه النبى ﷺ ، لكنه يظهر بوضوحٍ لامرية فيه أننا فى حاجةٍ إلى مراجعة أنفسنا ، هل نحن على الأهلية التى تجعل رسولنا ﷺ يبكى من أجلنا ؟ .

---

(١) سورة إبراهيم : ٣٦ . (٢) سورة المائدة : ١١٨ .

(٣) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٠٢) ، عبد الرزاق (٢٠٩٧) ، وابن أبى الدنيا (٦١) فى حسن الظن بالله ، والبغوى (١٦٦/١٥) فى شرح السنة ، والطبرى (١٥١/١٣) فى تفسيره ، والبيهقى (٢٠٥/٧) فى سننه الكبرى .

إن الرسول ﷺ لو رأى حالنا ، قال لنا : يا حسرة على العباد ؟؟ لقد أضاعت الأمة سنته الإمن رحم الله ، وقليل ماهم .

لقد جعلت الأمة الكتاب خلف ظهرها الإمن رحم ربى إن هذا الموقف يشعرنا إلى كم نحن فى حاجةٍ إلى التأسى برسولنا ﷺ حتى نكون أهلاً لأن يباهى بنا فى يوم القيامة .

إن هذا الموقف النبوى ترك لنا دروساً ، وعبراً كثيرة ، منها :

١ – كمال شفقة النبى ﷺ على أمته ، واعتناه بمصالحهم ، واهتمامه بأمرهم .

٢ – استحباب رفع اليدين فى الدعاء .

٣ – البشارة العظيمة لهذه الأمة زادها الله تعالى شرفاً بما وعدها الله تعالى بقوله : « **سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك** » .

٤ – بيان عظم منزلة النبى ﷺ عند الله تعالى ، وعظيم لطفه سبحانه به ﷺ[1] فيها لنا عظات ، وعبر .

(١) شرح النووى على مسلم (٣/٧٨ - ٧٩) .

# بكاءٌ فى بيت سعد بن عبادة

عن عبدالله بن عمر قال :

**اشتكى سعد بن عبادة شكوى ، فأتى رسول الله ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبدالله بن مسعود ، فلما دخل عليه وجده فى غشية ؛ فقال : « أقد قضى ؟ » .**

**قالوا : لا ، يا رسول الله ، فبكى رسول الله ﷺ ، فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا ، فقال :**

**« ألا تسمعون ، إن الله لا يعذب بدمع العين ، ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم »**[1].

« سعد بن عبادة » صحابى جليل ، له مآثر عظيمة ، ومواقف جليلة .

فلقد شهد العقبة مع السبعين ، والمشاهد كلها ما خلا بدراً ، فإنه تهيأ للخروج فلُدغ فأقام ولم يخرج .

وكان سعد بن عبادة جواداً ، وكان يحسن الرمى ، والكتابة ، والسباحة ، وكانت العرب تسمى من اجتمعت فيه هذا الخصال : الكامل .

يحكى محمدبن سيرين - رحمه الله - موقفاً من مواقف كرمه ، فيقول :

كان أهل الصُّفة إذا أمسوا انطلق الرجل بالرجل ، والرجل بالرجلين ، والرجل بالخمسة ، فأما سعد بن عبادة فكان ينطلق بثمانين كل ليلة .

يالله ؟؟ ياله من جوادٍ سخى مِعْطاء .

ولقد كان سعد بن عبادة شجاعاً ، ومحباً للجهاد فى سبيل الله تعالى .

يروى أنس بن مالك - رضى الله عنه - أنه لما بلغ رسول الله ﷺ إقفال أبى سفيان ، قال : « **أشيروا علىَّ ؟** » .

فقام أبو بكر ، فقال : « **أجلس** » .

---

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (١٠٦/٢) ، ومسلم (٦٢٥) ، وأحمد (٤٤١/٢) ، والبيهقى (٦٩/٤) فى سننه .

وقال سعد بن عبادة فقال : لو أمرتنا يا رسول الله أن نخيضها[1] البحر ، لأخضنا ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها[2] إلى برك الغماد[3] لفعلنا[4].

وكان « **سعد بن عبادة** » صاحب راية الأنصار فى المشاهد كلها ، وكان وجيهاً فى الأنصار ، ذا رئاسة وسيادة ، يعترف قومه له بها .

وكان غيوراً شديد الغيرة .

وكان يحمل إلى النبى ﷺ كل يومٍ جفنة مملوءة ثريداً ولحماً ، تدور معه حيث دار .

**هذا هو سعد بن عبادة فى سطور .**

---

(١) أى الخيل . (٢) كناية عن ركضها .

(٣) هو موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل .

(٤) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٣/٢٢٠) ، ومسلم (١٧٧٩) .



obeikandl.com

# تحليل الموقف النبوى

« **سعد بن عبادة** » صاحب هذه المناقب العديدة يجلس على فراش المرض جاء النبى ﷺ ومعه بعض الصحب الكرام لكى يزوروا سعد بن عبادة فى مرضه ، ولكن لقد حدثت المفاجأة ، فلما دخل الرسول ﷺ وجده فى غاشية أهله .

والغاشية : الذين يغشونه للخدمة وغيرها ، ويجوز أن يكون المراد بالغاشية الغشية من الكرب .

قال التوربشتى رحمه الله : الغاشية هى الداهية من شرٍ ، أو من مرضٍ ، أو من مكروه ، والمراد : ما يتغشاه من كرب الوجع الذى هو فيه لا الموت ، لأنه أفاق من تلك المرضة ، وعاش بعدها زماناً .

يسأل الرسول ﷺ أهله « **قد قضى ؟** » أى : هل مات ؟ .

فيجيب أهله : لا يارسول الله . .

وهنا يبكى النبى ﷺ رحمة بسعد ، وشفقة عليه .

إنه يعلمنا : استحباب عيادة المريض ، وعيادة الفاضل المفضول .

ويعلمنا : أن مجرد البكاء بدمع العين من غير زيادة على ذلك لا يضر .

**وهكذا هى مواقف الرسول ﷺ كلها تعليم وإرشاد .**

١ - بكاءٌ عند قبر الأم .

٢ - دموعٌ فى الجنائز .

٣ - حزن واستغاثة يوم بدر .

٤ - دموع وأسى يوم أحد .

٥ - عام الحزن فى حياة الرسول ﷺ .

٦ - دموع وأحزانٌ فى الطائف .

٧ - أحزانٌ لا نقطاع الوحى .

٨ - حزنٌ طويلٌ فى موقفٍ أليم .

obeikandi.com

obeikandl.com

# بكاءٌ عند قبر الأم

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال :

**زار رسول الله ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، وقال :**

**« استأذنتُ ربى عز وجل فى أن أستغفر لها فلم يؤذن لى ، واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى ، فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت »**[1].

موقفٌ عصيبٌ من المواقف التى مرت على الرسول ﷺ .

لقد زار قبر أمه آمنة بنت عبدالله عظة وتذكرة ، ولكن عند القبر سقطت دموع النبى ﷺ على الثرى ، وهنا بكى كل الواقفين معه عند القبر .

**« بكى وأبكى من حوله »** .

قال أهل العلم : بكاؤه ﷺ على ما فاتها من ادراك أيامه ، والإيمان به .

وهنا يقول الرسول ﷺ بعد الانتهاء عن البكاء :

**« استأذنت ربى عز وجل فى أن أستغفر لها فلم يؤذن لى »** .

أراد النبى ﷺ أن يستغفر لأمه فنهاه الله عز وجل عن ذلك ، فقال عز وجل :

**﴿ ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾**[2].

قال ابن عباس – رضى الله عنهما – :

كانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية ، فأمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ، ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ، ثم أنزل الله :

**﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين**

---

(١) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٩٧٦) ، وأحمد (٤٤١/٢) ، وأبو داود (٣٢٣٤) ، وابن أبى شيبة (٣٢٣/٣) ، والنسائى (٩٠/٤) ، وابن ماجه (١٥٧٢) ، والبغوى (٤٦٣/٥) فى شرح السنة ، والبيهقى (٧٠/٤) فى سننه ، و (١٤٨/١) فى دلائل النبوة .

(٢) سورة التوبة : ١١٣

**له أنه عدوٌ لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواهٌ حليم ﴾**[1].

قال ابن عباس – رضى الله عنهما – :

ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما تبين له أنه عدوٌّ لله تبرأ منه .

وفى رواية : لما مات تبين له أنه عدُوّ لله[2].

وبعد ذلك يقول الرسول ﷺ : « **واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى** » .

وفيه جواز زيارة المشركين فى الحياة ، وقبورهم بعد الوفاة لأنه إذا جازت زيارتهم بعد الوفاة ففى الحياة الأولى ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **وصاحبهما فى الدنيا معروفاً ﴾**[3].

وفيه : النهى عن الاستغفار للمشركين[4].

وفى نهاية الموقف يقول النبى ﷺ : « **فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت** » شاهدوا القبور لكى تتذكروا الموت ، ذلك لأن الإنسان إذا شاهد القبور تذكر الموت وما بعده ، وفيه عظةٌ واعتبارٌ .

فالمؤمن إذا أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء : تعجيل التوبة ، وقناعة القلب ، ونشاط العبادة .

وبالعكس إذا نسى المؤمن ذكر الموت عوقب بثلاثة أشياء : تسويف التوبة ، وترك الرضا بالكفاف ، والتكاسل فى العبادة .

والمؤمن إذا ذكر الموت لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها .

والمؤمن إذا ذكر الموت هانت عليه مصائب الدنيا وغمومها وهمومها .

والمؤمن إذا ذكر الموت صغرت الدنيا عنده ، وهان عليه جميع ما فيها .

لهذه الفضائل المترتبة على ذكر الموت يأمرنا الرسول ﷺ بزيارة القبور لكى نتذكر الموت .

---

(١) سورة التوبة : ١١٤ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٣٩٤/٢) .

(٣) سورة لقمان : ١٥ .

(٤) شرح النووى على مسلم (٤٥/٧) .

فهل تأسينا برسولنا ﷺ عند القبر ؟ .
وهل اقتدينا به فى ذكر الموت والقبور ؟ .
هذا ما أرجوه .

**ومع موقفٍ من مواقف الدموع والأحزان فى حياة الرسول ﷺ نكمل المسير .**

obeikandl.com

# دموعٌ فِي الجنائز

عن البراء بن عازب – رضى الله عنه – قال :

**كنا مع رسول الله ﷺ فى جنازةٍ فجلس على شفير القبر ، فبكى حتى بلّ الثرى ، ثم قال :**

**« يا أخوانى لمثل هذا فأعدوا »**[1].

دموعٌ على الثرى ، تسقط من عيون خير الورى ، فياتُرى ما السبب ؟ يحكى البراء بن عازب فيقول :

كنا مع رسول الله ﷺ فى جنازةٍ فجلس الرسول ﷺ على شفير ، وأخذ يبكى حتى نزلت دموعه السخية على الثرى .

وهنا نقف ونقول : إن كان هذا هو حال نبينا ﷺ فى الجنائز ، فكيف يكون حالنا ؟ .

إن المرء يشعر بالتفاوت العظيم بين حال النبى ﷺ فى الجنائز ، وحال الناس اليوم .

**أخى المسلم .. أختى المسلمة ..**

فى الجنائز عبرة لمن أراد العبرة ، وتذكرة لمن أراد التذكرة .

ولقد كان السلف الصالح يسيرون فى الجنائز حزانى يفكرون فى مصيرهم ، ومالهم بعد إدخالهم الميت قبره .

كان مكحول الشامى – رحمه الله – إذا رأى جنازةً قال :

« اغدوا فإنا رائحون ، موعظة بليغة ، وغفلة سريعة ، يذهب الأول ، والآخر لا عقل له » .

وقال أسيد بن حضير – رضى الله عنه – :

« ما شهدتُ جنازة فحدثتنى نفسى بشيءٍ سوى ما هو مفعول به ،

---

(١) حديث حسن . أخرجه أحمد (٤/٢٩٤) ، وابن ماجه (٤١٩٥) ، والبخارى (٨/١/٢٢٩) فى التاريخ الكبير ، والخطيب (١/٣٤١) فى تاريخه ، انظر : السلسلة الصحيحة (١٧٥١) .

ما هو صائر إليه » .

**قال الأعمش** : « كنا نشهد فلا ندرى من نعزى لحزن الجميع » .

ويوضح الأمر ثابت البنانى – رحمه الله – فيقول : كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متقعناً باكياً .

هكذا كان حال سلفنا الصالح ، ولكن خلف من بعدهم خلف يسيرون فى الجنائز وهو يضحكون ويلهون ، ولا حديث لهم إلا عن ميراثه ، وما تركه لأولاده من مالٍ وبنيان .

صاروا يحضرون عند القبر ولا يتعظون ، ويرون الموت ولا ينزجرون ، وما ذلك إلا لقسوة القلوب .

فالمؤمن إذا سار فى الجنائز ، وسار بين القبور يتفكر فى تلك اللحظات التى يقفها أمام القبر ، ويتذكر من دُفن فيه ، وكيف كان يؤمل فى الدنيا طويلاً ، ويرجوا أملاً عظيما ، وهاهو الآن رهين الصخور والترابـ ، قد محا التراب محاسن الوجه ، وأكل الدود اللحم ، ونخر فى العظم ، وتفرقت الأجزاء فى ثنايا التراب ، ولم يبق للمرء سوى عمله .

والموقف النبوى الذى معنا عند القبر ، وبالتحديد عند شفير القبر يجلس النبى ﷺ ويبكى بدموع حارة ، دموع الشفقة والرحمة ، ومن كثرة دموعه بلل الثرى ﷺ ، وإن كان هذا هو حاله مع علو جاهه عند الله تعالى ، ورفعة درجته ، فكيف حال أمثالنا ؟ .

يقول **العلامة المناوى**[1] رحمه الله معلقاً على هذا :

العجب كل العجب ، من غفلة من لحظاته معدودة ، وأنفاسه محدودة فمطايا الليل والنهار تسرع إليه ، ولا يتفكر إلى أن يحمل ويسار به أعظم من سير البريد ، ولا يدرى إلى أى الدارين ينقل فإذا نزل به الموت قلق لخراب ذاته ، وذهاب لذاته ، لما سبق من جناياته ، وسلف من تفريطاته حيث لم يقدم لحياته ، وفيه ندبٌ تذكير الغافل ، لأن الغفلة من طبع البشر وينبغى للمرء أن يتفقد نفسه ومن يحب بالتذكير .

---

(١) فيض القدير (١٦٣/٣) .

بعد أن توقف النبى ﷺ عن البكاء ، قال لأصحابه :

**« أى إخوانى لمثل هذا فأعدوا » .**

أى : لمثل نزول أحدكم قبره فليتخذ العُدة التى تنفعه فى بيت الظلمة والوحشة ، وهى التقوى .

حقاً أن نزول القبر يستوجب الاستعداد بزادٍ من التقوى .

وصدقاً لقد أحسن سلفنا الصالح التفكر فى القبر ، وفى الاستعداد له . فهذا عمرو بن العاص ينظر إلى مقبرةٍ فنزل وصلى ركعتين ، فقيل له : هذا شيءُ لم تكن تصنعه ؟ .

فقال : ذكرت أهل القبور ،وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب إلى الله .

وكان السلف الصالح يذكرون أن يوم الفقر عند الواحد هو يوم يوضع فى القبر فلا يزاد فى حسناتهم حسنة ، ولا يمحو من سيئاتهم سيئة .

فهذا أبو ذر – رضى الله عنه – يقول : ألا أخبركم بيوم فقرى يوم أوضع فى قبرى . ورحم الله أبا عبدالله القرطبى[1] عندما قال :

تفكر يا مغرور فى الموت وسكرته ، وصعوبة كأسه ومرارته ، فياللموت من وعدٍ ما أصدقه ، ومن حاكمٍ ما أعد له .

كفى بالموت مقرحاً للقلوب ، ومبكياً للعيون ، ومفرقاً للجماعات ، وهاذماً للذات ، وقاطعاً للأمنيات .

فهل تفكرت يـابن آدم فى يوم مصرعك ، وانتقالك من موضعك ، وإذا نقلت من سعةٍ إلى ضيقٍ ، وخانك الصاحب والرفيق ، وهجرك الأخ والصديق ، وأُخذت من فراشك ، وغطائك إلى عرر ، وغطوك من بعد لين لحافك بترابٍ ومدر .

اعتبر بمن صار تحت التراب ، وانقطع عن الأهل والأحباب ، فجاءه الموت فى وقتٍ لم يحتسبه ، وهول لم يرتقبه .

---

(١) التذكرة (١٧/١) .

تأمل حال من مضى من إخوانك ، ودرج من أقرانك ، الذين بلغوا الآمال ، وجمعوا الأموال ، كيف انقطعت آمالهم ، ولم تغن عنهم أموالهم ، ومحا التراب محاسن وجوههم ، وافترقت فى القبور أجزاؤهم ، وترمل بعدهم نساؤهم ، وشمل ذل اليتم أولادهم ، واقتسم غيرهم طريقهم وبلادهم .

وليتذكر ترددهم فى المآرب ، وحرصهم على نيل المطالب ، وانخداعهم لمواتاة الأسباب ، وركونهم إلى الصحة والشباب ، وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم ، وغفلته عما بين يديه من الموت العظيم والهلاك السريع كغفلتهم ، وأنه لابُدّ صائر إلى مصيرهم ، وليحضر بقلبه ذكر من كان مترداً فى أغراضه ، وكيف تهدمت رجلاه وكان يتلذذ بالنظر إلى ما حوله ، وقد سالت عيناه .

ويصول ببلاغة نطقه ، وقد أكل الدود لسانه .

ويضحك لمواتاة دهره ، وقد أبلى التراب أسنانه .

وليتحقق أن حاله كحاله ، ومآله كمآله ، وعند هذا التذكر والاعتبار ، يزول عنه جميع الأعمال الدنية ، ويقبل على الأعمال الأخروية ، فيزهد فى دنياه ، ويقبل على طاعة مولاه ، ويلين قلبه ، وتخشع جوارحه .

فهل اتعظنا بالقبر كما أوصانا رسولنا ﷺ ؟! .

وهل بكينا عند القبر كما بكى نبينا ﷺ ؟ .

فلنحسن فيما بقى ، عسى الله تعالى بفضله يغفر لنا ما سبق ، إنه غفورٌ رحيمٌ .

# حزنٌ واستغاثة يوم بدر

عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – قال :

لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين ، وهم ألفُ ، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً ، فاستقبل نبى الله ﷺ القبلة ، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه[1]:

**« اللهم أنجز لى ما وعدتنى ، اللهم آت ما وعدتنى ، اللهم إن تهلك هذه العصابة[2] من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض » .**

فما زال يهتف بربه مادّاً يديه ، مستقبل القبلة ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه ، وقال :

يانبى الله ، كذاك مناشدتك ربك[3]، فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله عز وجل :

**﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾[4].**

فأمده الله بالملائكة .

قال ابن عباس : بينما رجلٌ من المسلمين يومئذ يشتد فى أثر رجلٍ من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول : أقدم

---

(١) معناه : يصيح ويستغيث بالله بالدعاء . (٢) العصابة : الجماعة .

(٣) المناشدة : السؤال من النشيد ، وهو رفع الصوت ، قال العلماء : هذه المناشدة إنما فعلها النبى ﷺ ليراه أصحابه بتلك الحال فتقوى قلوبهم بدعائه وتضرعه مع أن الدعاء عبادة ، وقد كان وعده الله تعالى إحدى الطائفتين : إما العير ، وإما الجيش ، وكانت العير قد ذهبت وفاتت فكان على ثقة من حصول الأخرى ، ولكن سأل تعجيل ذلك وتنجيزه من غير أذى يلحق المسلمين .

(٤) سورة الأنفال : ٩ .

قوله « إنى ممدكم » أى معينكم ، والإمداد والإعانة ، وقوله « مردفين » : متتابعين .

حيزوم[1]، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً[2]، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه[3]، وشق وجهه كضربة السوط ، فجاء الأنصارى فحدث بذلك رسول الله ﷺ ، فقال :

« **صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة** » .

فقتلوا يومئذ سبعين ، وأسروا سبعين .

قال ابن عباس : فلما أسروا الأسارى ، قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر :

« **ماترون فى هؤلاء الأسارى ؟** »[4].

فقال أبو بكر : يانبى الله ، هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية ، فتكون لنا قوة على الكفار ، فعسى الله أن يهديهم للإسلام .

فقال رسول الله ﷺ : « **ما ترى يابن الخطاب ؟** » .

قلت : لا والله ، يا رسول الله ، ما أرى الذى رأى أبو بكر ، ولكنى أرى أن تُمكِّنَّا فنضرب أعناقهم ، فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكِّنى من فلان ( نسيباً لعمر ) فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها[5]، فهوى[6] رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ، ولم يهو ماقلت .

فلما جئت من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان .

قلت : يا رسول الله ، أخبرنى من شيءٍ تبكى أنت وصاحبك ، فإن

---

(١) أقدم حيزوم : اسم فرس الملك ، هو منادى بحذف حرف النداء ، أى يا حيزوم . أما قوله « أقدم » من الإقدام ، قالوا : وهى كلمة زجر للفرس معلومة فى كلامهم .

(٢) أى منبطحاً على الأرض .

(٣) الخطم من كل طائر منقاره ، أما الخطم هنا : هوالأثر على الأنف ، وكانت تلك العلامة على وجوه الكفار دلالة أنهم قتلوا عن طريق الملائكة .

(٤) أى ماذا نفعل فيهم ؟ .

(٥) صناديدها : أشرافها ، الواحد صنديد ، والضمير فى صناديدها يعود على أئمة الكفار .

(٦) هوى : بكسر الواو أى : أحب ذلك واستحسنه ، يقال : هوى الشيء بكسر الواو يهوى بفتحها هوى ، والهوى محبة .

وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما ؟ .

فقال رسول الله ﷺ : « **أبكى للذى عرض على أصحابك من أخذهم الفداء ، لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة** » .

وأنزل الله عز وجل : ﴿ **ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض** ﴾[1] إلى قوله : ﴿ **فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً** ﴾[2] فأحل الله الغنيمة لهم[3].

هذا موقف من المواقف التى بكى فيها النبى ﷺ تأثرا لما نزل عليه من القرآن الكريم .

وبكى ﷺ شفقة على هذه الأمة ، ورحمة بها .

وبكى ﷺ الموافقة على رأى أبى بكر ، وتركه لرأى عمر .

وبكى ﷺ خوفاً من الله ، وإشفاقاً منه .

يقول العلامة القرطبى رحمه الله[4]:

هذه الآية نزلت يوم بدر ، عتاباً من الله عز وجل لأصحاب نبيه ، والمعنى : ما كان ينبغى لكم أن تفعلوا هذا الفعل الذى أوجب أن يكون للنبى أسرى قبل الإثخان ، والإثخان : كثرة القتل .

فأعلم سبحانه وتعالى أن قتل الأسرى الذين فُودُوا ببدر كان أولى من فدائهم .

قال ابن عباس : كان هذا يوم بدر ، والمسلمون يومئذ قليل ، فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله عز وجل بعد هذا فى الأسارى ﴿ **فإما مَنًّا بعدُ وإما فداء** ﴾[5].

---

(١) سورة الأنفال : ٦٧ .

قوله « حتى يثخن فى الأرض » أى يكثر القتل والقهر فى العدو .

(٢) سورة الأنفال : ٦٩ .

(٣) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٧٦٣) ، وأحمد (٣١/١ ، ٣٣) ، والبيهقى (١٣٧/٣) فى دلائل النبوة ، والطبرى (٣١/١٠) فى تفسيره .

(٤) تفسير الجامع (٣١/٨ - ٣٢) .

(٥) سورة محمد : ٤ .

# دموعٌ وأسى يوم أحد

عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – قال :

**لما كان يوم أحد ، كسرت رباعية رسول الله ﷺ ، وشج ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول :**

**« كيف يفلح قومٌ خضبوا وجه نبيهم بالدم ، وهو يدعوهم إلى الله[1] ؟!**

**فأنزل الله عز وجل ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾[2].**

موقف عسيرٌ من المواقف التى قابلت رسولنا ﷺ يوم أحد .

لم تسقط يومئذ الدموع منه فقط ، بل وسقطت الدماء الشريفة كذلك ، بل وحدث الألم فى وجهه الشريف كذلك .

كيف كان ذلك ، ولم كان ؟ .

يذكر لنا أصحاب السير والمغازى أن الله تبارك وتعالى لما أوقع بقريش يوم بدر ، وترأس أبو سفيان ، لذهاب أكابرهم ، أخذ يؤلّب على رسول الله ﷺ ، وعلى المسلمين ، ويجمع الجموع ، فجمع قريباً من ثلاثة آلاف من قريش ، والحلفاء ، والأحابيش ، وجاءوا بنسائهم لئلا يفروا ، ثم أقبل بهم نحو المدينة ، فنزل قريباً من جبل أحد .

فاستشار رسول الله ﷺ أصحابه فى الخروج إليهم ، وكان رأيه أن لا يخرجوا ، فإن دخلوها قاتلهم المسلمون على أفواه السكك ، والنساء من فوق البيوت ، ووافقه عبدالله بن أبىّ – رأس المنافقين – على هذا الرأى .

وهنا بادر جماعة من فضلاء الصحابة – ممن فاته بدر – وأشاروا على رسول الله بالخروج ، وألحوا عليه ، فنهض ودخل بيته ، ولبس عدة الحرب ، وخرج عليهم ، فقالوا : استكرهنا رسول الله ﷺ على الخروج .

---

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (١٢٧/٥) بنحوه ، ومسلم (١٧٩١) ، وأحمد (٢٠٦/٣ ، ٢٥٣ ، ٢٨٨) ، وابن ماجه (٤٠٢٧) ، وابن سعد (٣١/١/٢) فى طبقاته .

(٢) سورة آل عمران : ١٢٨ .

ثم قالوا : إن أحببت أن تمكث بالمدينة فافعل ، فقال :

**« ما ينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه ، وبين عدوه »** .

فخرج فى ألفٍ من أصحابه ، واستعمل على المدينة عبدالله بن أم مكتوم

وكان رسول الله ﷺ رأى رؤيا : رأى **« أن فى سيفه ثُلمة**[1]**، وأن بقراً تذبح ، وأنه يدخل يده فى درع حصينة »** .

فتأول الثُّلمة : برجلٍ يصاب من أهل بيته ، والبقر : بنفر من أصحابه يقتلون ، والدرع : بالمدينة ، فخرج ، وقال لأصحابه :

**« عليكم بتقوى الله ، والصبر عند البأس إذا لقيم العدو ، وانظروا ماذا أمركم الله به فأفعلوا »** .

فلما كان بين المدينة وجبل أحد ، انخذل عبدالله بن أبىّ بنحو ثلث العسكر ، وقال : عصانى ، وسمع من غيرى ، ما ندرى علام نقتل أنفسنا ، هٰهنا أيها الناس ؟ فرجع وتبعهم عبدالله بن عمرو - والد جابر - يحرضهم على الرجوع ، ويقول : قاتلوا فى سبيل أو ادفعوا ، قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع . فرجع عنهم وسَبّهم .

وهنا سأل نفرٌ من الأنصار رسول الله ﷺ : أن يستعينوا بحلفائهم من يهودٍ فأبى ، وقال : **« من يخرج بنا على القوم من كَثَب ؟ »** .

فخرج بعض الأنصار ، حتى سلك فى حائطٍ لمربعى بن قيظى من المنافقين - وكان أعمى - فقام يحثو التراب فى وجوه المسلمين ، ويقول : لا أُحِلُّ لك أن تدخل فى حائطى ، إن كنت رسول الله ، فابتدروه ليقتلوه ، فقال رسول الله ﷺ : **« لا تقتلوه ، فهذا أعمى القلب ، أعمى البصر »** .

ونفذ حتى نزل الشعب من أحد ، فى عُدْوة الوادى الدنيا ، وجعل ظهره إلى أُحد ، ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم .

---

(١) ثلمة : ثغرة ، وفتحة .

فلما أصبح يوم السبت تعبأ للقتال ، وهو فى سبعمائة ، منهم خمسون فارساً ، واستعمل على الرماة - وكانوا خمسين - عبدالله بن جبير ، وأمرهم أن لا يفارقوا مركزهم ، ولو رأوا الطير تختطف العسكر ، وأمرهم أن يضربوا المشركين بالنبل ، لئلا يأتوا المسلمين من ورائهم .

واعطى رسول الله ﷺ اللواء مصعب بن عمير ، وجعل على أحد الجانبين : الزبير بن العوام ، وعلى الجانب الآخر : المنذر بن عمرو ، واستعرض الشباب يومئذ فرد من استصغر عن القتال كابن عمر ، وأسامة بن زيد ، والبراء ، وزيد بن أرقم ، وزيد بن ثابت ، وعرابة الأوسى ، وأجاز من رآه مطيقاً .

وتعبأت قريش ، وهم ثلاثة آلاف ، وفيهم مائتا فارس ، فجعلوا على ميمنتهم : خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة : عكرمة بن أبى جهل .

ودفع رسول الله ﷺ سيفه إلى أبى دُجانة .

وكان أول من بدر من المشركين أبو عامر الفاسق ، وكان يسمى الراهب ، وهو رأس الأوس فى الجاهلية ، فلما جاء الإسلام لم يدخله ، وجاهر بالعداوة ، فذهب إلى قريش يؤلّبهم على رسول الله ﷺ ووعدهم بأن قومه إذا رأوه أطاعوه ، فلما ناداهم ، وتَعَرَّف إليهم ، قالوا : لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق .

فقال : لقد أصاب قومى بعدى شرٌّ ، ثم قاتل المسلمين قتالاً شديداً ، ثم أرضخهم بالحجارة .

وأبلى يومئذ أبو دجانة ، وطلحة ، وحمزة ، وعلى ، والنضر بن أنس ، وسعد بن الربيع بلاءً حسناً .

وكانت الغلبة أول النهار للمسلمين ، فانهزم أعداء الله ، وولوا مدبرين ، حتى انتهوا إلى نسائهم ، فلما رأى ذلك الرماة ، قالوا : الغنيمة ، الغنيمة ، فذكرهم أميرهم عهد رسول الله ﷺ فلم يسمعوا ، فأخلوا الثغر ، وكرّ فرسان المشركين عليه فوجدوه خالياً ، فجاءوا منه ، وأقبل آخرهم حتى أحاطوا بالمسلمين فأكرم الله من أكرم منهم بالشهادة - وهم سبعون - وولى الصحابة .

وخلص المشركون إلى رسول الله ﷺ ، فجرحوه جراحات وكسروا رباعيته ، وقُتل مصعب بن عمير بين يديه ، فدفع اللواء إلى على بن أبى طالب .

وهنا تُكسر رباعية الرسول ﷺ وهى السن التى تلى الثنية من كل جانب ، وللإنسان أربع رباعيات .

وشج وجهه ﷺ ، وسالت منه الدماء الزكية على الثرى ، وهنا يعلم النبى ﷺ أن أهل الشرك لن يفلحوا أبداً :

أما هذا الموقف من النبى ﷺ فيعلمنا :

أن الأنبياء يحدث لهم من المحن والبلاء الكثير لينالوا جزيل الأجر والثواب ، وليعلم أنهم من البشر تصيبهم محن الدنيا ، ويطرأ على أجسامهم ما يطرأ على أجسام البشر ليتيقنوا أنهم مخلوقون مربوبون ، ولا يفتتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات .

ونتعلم نحن من هذا الموقف قدر الحلم ، والصبر ، الذى كان عليه رسولنا ﷺ لنتصف به ، ونتأسى .

**وهكذا مَرَّ بنا موقفٌ رائعٌ من المواقف التى نزلت فيها دموع الرسول ﷺ ، وعاش فيه النبى ﷺ مع أحزانٍ ، ونكمل المسير مع البشير النذير .**

# عام الحزن فى حياة الرسول ﷺ

هكذا يطلق عليه بعض العلماء ، ولكن بالنظر إلى الأحداث ، والوقائع التى وقعت فيه نجد أنه كان عام المنحة وليس المحنة .

لقد مات أبو طالب الذى كان الرسول ﷺ فى منعته ، وماتت خديجة – رضى الله عنها – بعد موت أبى طالب بأيامٍ ، فاشتد البلاء على رسول الله ﷺ ، وأرادو قتله ، فمنعهم الله من ذلك .

يذكر لنا الصحابى الجليل عبدالله بن عمرو صوراً من الآلام والأحزان التى عاش فيها رسول الله ﷺ يقول :

حضرتهم ، وقد اجتمع أشرافهم فى الحِجْر ، فذكروا رسول الله ﷺ ، فقالوا : ما رأينا مثل صبرنا عليه ، سَفَّه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وفرق جماعتنا ، فبينما هم فى ذلك ، إذ أقبل ، فاستلم الركن ، فلما مَرَّ بهم غمزوه .

وفى موقفٍ آخرٍ : أنهم قالوا له : يا أبا القاسم ، ما كنت جهولاً ، فانصرف راشداً .

فلما كان من الغد اجتمعوا فقالوا : ذكرتم ما بلغ منكم ، حتى إذا أتاكم بما تكرهون تركتموه ، فبينما هم كذلك ، إذ طلع عليهم ، فقالوا : قوموا إليه وثْبَة رجل واحد ، فلقد رأيت عقبة بن أبى مُعَيط آخذاً بمجامع ردائه ، وقام أبو بكر دونه ، وهو يبكى ، يقول : أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله ؟ .

حقاً إن مواقف الدموع والأحزان فى حياة الرسول ﷺ تثير فينا الكثير !! .

تقول أسماء بنت أبى بكر – رضى الله عنها – :

فأتى الصريخ إلى أبى بكر ، فقالوا : أدرك صاحبك ، فخرج من عندنا ، وهو يقول : ويلكم ، أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله ؟! .

فلهوا عنه ، وأقبلوا على أبى بكر ، فرجع إلينا .

ومرة كان يصلى عند البيت ، ورهط من أشرافهم يرونه ، فأتى أحدهم بسلا جزور ، فرماه على ظهره .

كل هذا حدث بعد وفاة أبى طالب ، وخديجة فى عام واحدٍ ، بل وفى شهرٍ واحد .

ولكن الرسول الصابر ، الممتحن يعلمنا أنه ما دام على الحق فليفعلوا ما شاءوا ، فما دام الله سبحانه قد رضى عنه ، فلن يبالى بأى بلاء ، ولن يشتكى من شدة المحن ، **وليكن الصبر والتصبر إلى النهاية** .

obeikandl.com

# دموعٌ وأحزانٌ فى الطائف

لما اشتد البلاء من قريشٍ على رسول الله ﷺ بعد موت عمه ، خرج إلى الطائف ، رجاء أن يجد لديهم المأوى ، فينصروه على قومه ، ويمنعوه منهم ، حتى يبلغ رسالة ربه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل ، فخرج إليهم وحده .

ولكنه لم ير من يؤويه منهم ، ولم ير ناصراً فيهم ، وآذوه أشد الأذى ، ونالوا منه مالم ينل منه قومه ، وكان معه زيد بن حارثة مولاه .

يحكى ابن إسحاق هذا الموقف فى سيرته ، فيقول :

لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف ، عمد إلى نفرٍ من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم ، وهم أخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو ، ومسعود بن عمرو ، وحبيب بن عمرو ، وعند أحدهم امرأة من قريش من بنى جمح ، فجلس إليهم رسول الله ﷺ ، فدعاهم إلى الله ، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال له أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك .

وقال الآخر : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ؟؟ .

وقال الثالث : والله لأكلمك أبداً ، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ، ما ينبغى لى أن أكلمك ، فقام رسول الله ﷺ من عندهم .

هكذا كانت تلك المواقف الحزينة التى عاش فيها رسولنا ﷺ فى الطائف ، عند قبيلة ثقيف ، ولكن هل انتهى الأمر إلى هذا الحد ؟ .

يروى لنا أصحاب السير أنه ﷺ أقام بينهم عشرة أيام ، لا يدع أحداً من أشرافهم إلا كلمه ، فقالوا : أخرج من بلدنا ، وأغروا به سفهاءهم فوقفوا له صفين ، وجعلوا يرمونه بالحجارة ، وبكلماتٍ من السفه ، هى أشد وقعاً من الحجارة حتى دميت قدماه ، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه

شجاج فى رأسه فانصرف إلى مكة محزوناً .

وفى مرجعه دعا بالدعاء المشهور :

**« اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيدٍ يتجهمنى ، أو إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك غضبٌ علىَّ فلا أبالى ، غير أن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن يحل علىَّ غضبك ، أو ينزل بى سخطك ، لك العُتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .**

إنها مواقفٌ عصيبةٌ مرت فى حياة رسولنا ﷺ ، ولكنها تعلمنا الصبر والثبات فى مواطن المحن ، والحلم والتحلم فى الأزمات ، وعدم اليأس من سعة رحمة الله تعالى مهما اشتدت الكربات ، أو تأزمت الأزمات .

**ونكمل المسير مع البشير النذير ، ودموع وأحزان مرت عليه ﷺ .**

# أحزانٌ لانقطاع الوحى

قالت أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – :

أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[1]، ثم حبب إليه الخلاء[2]، فكان يأتى حراء فيتحنث فيه[3]، وهو التعبد الليالى ذوات العدد ، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق[4] وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارىء[5] . قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى الثالثة ، ثم أرسلنى فقال :

**﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق[6] * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم ﴾ .**

---

(١) أى مشبهة ضياء الصبح ، أو : أى جاءت مجيئاً مثل فلق الصبح ، والمراد بفلق الصبح ضياؤه ، وخص بالتشبيه لظهوره الواضح الذى لا شك فيه . قاله صاحب الفتح .

(٢) الخلاء : الخلوة .

(٣) يتحنث بمعنى يتحنف ، أى يتبع الحنيفية ، وهى دين إبراهيم ، والفاء تبدل ثاء فى كثير من كلام العرب . المصدر السابق .

(٤) أى الأمر الحق .

(٥) ما : نافية ، إذ لو كانت استفهامية لم يصلح دخول الباء ، وإن حُكى عن الأخفش جوازه فهو شاذ ، والباء زائدة لتأكيد النفى .

(٦) قال ذلك ثلاثاً قيل له : ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ أى لا تقرؤه بقوتك ولا بمعرفتك ، لكن بحول ربك وإعانته ، فهو يعلمك كما خلقك ، وكما نزع عنك علق الدم وغمز الشيطان فى الصغر ، وعلم أمتك حتى صارت تكتب بالقلم بعد أن كانت أمية . قاله السهيلى .

وقال غيره : إن هذا التركيب يفيد الاختصاص ، ورده الطيبى بأنه إنما يفيد التقوية والتأكيد ، والتقدير : لست بقارىء ألبتة .

فإن قيل : لم كرر ذلك ثلاثاً ؟ .

أجاب أبو شامة بأن يحمل قوله أولاً : « ما أنا بقارىء » على الامتناع ، وثانياً على الإخبار بالنفى المحض ، وثالثاً على الاستفهام .

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد – رضى الله عنها – فقال : « **زملونى ، زملونى** »[1].

فزملوه حتى ذهب عنه الروع[2]، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : « **لقد خشيت على نفسى** » .

فقالت خديجة : « **كلا والله ما يخزيك الله أبداً**[3] **إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل**[4]**، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق** » .

**فانطلقت به خديجة حتى** أتت به ورقة بن نوفل – ابن عم خديجة – وكان امرأً تنصر[5] فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمى ، فقالت له خديجة : يٰابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يٰابن أخى ، ماذا ترى ، فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ، ياليتنى فيها جذعاً[6]، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك .

فقال رسول الله ﷺ : « **أو مخرجى هم ؟** »[7] **قال : نعم ، لم يأت**

---

(١) زملونى : غطونى .

(٢) الروع : الفزع .

(٣) كلا : معناها النفى والإبعاد ، ويحزنك من الحزن ، ويخزيك من الخزى ، ثم استدلت على ما أقسمت عليه من نفى ذلك أبداً بأمر استقرائى وصفته بأصول مكارم الأخلاق ، لأن الإحسان إما إلى الأقارب ، أو إلى الأجانب ، وإما بالبدن ، أو بالمال ، وإما على من يستقل بأمره ، أو من لا يستقل . الفتح (٢٤/١) .

(٤) الكل : بفتح الكاف ، هو من لا يستقل بأمره .

(٥) تنصر : أى صار نصرانيا ، وكان قد خرج هو وزيد بن عمرو لما كرها عبادة الأوثان إلى الشام وغيرها يسألون عن الدين ، فأما ورقة فأعجبه دين النصرانية فتنصر ، وكان لقى من بقى من الرهبان على دين عيسى ، ولم يبدل ، ولهذا أخبر بشأن النبى ﷺ والبشارة به إلى غير ذلك مما أفسده أهل التبديل .

(٦) الجذع : هو الصغير من البهائم ، كأنه تمنى أن يكون عند ظهور الدعاء إلى الإسلام شاباً ليكون أمكن لنصره ، وبهذا يتبين سر وصفه بكونه كان كبيراً أعمى وفيه دليل على جواز تمنى المستحيل إذا كان فى فعل خير ، لأن ورقة تمنى أن يعود شاباً ، وهو مستحيل عادة والتمنى ليس مقصوداً على بابه ، بل المراد من هذا التنبيه على صحة ما أخبره به ، والتنويه بقوة تصديقه فيما يجيء به

(٧) أو مخرجى هم ؟ بفتح الواو وتشديد الهاء ، وفتحها جمع مُخرج ، واستبعد النبى ﷺ أن يخرجوه ، لأنه لم يكن فيه سبب يقتضى الإخراج ، لما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق التى تقدم من خديجة وصفها .

رجلٌ قط بمثل ما جئت به إلا عودى[1]، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً[2]، ثم لم ينشب[3] ورقة أن توفى ، وفتر الوحى[4] فترة حتى حزن رسول الله ﷺ حزناً ، غدا منه مراراً كى يتردى[5] من رءوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى[6] بذروة جبل[7] لكى يلقى نفسه منه تبدى[8] له جبريل عليه السلام ، فقال له : يا محمد ، إنك رسول الله حقاً ، فيسكن ذلك جأشه ، وتقر نفسه عليه الصلاة والسلام ، فيرجع فإذا طالت عليه ، وفتر الوحى غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك »[9].

موقفٌ من المواقف التى حزن فيها رسولنا ﷺ يوم أن تأخر مجىء الوحى إليه ، واشتاق إلى رؤية جبريل عليه السلام ، ليسمع منه حديث السماء .

ولعل المرء يتساءل : إن الرسول ﷺ فزع عند بدء مجىء الوحى ، والآن اشتاق إلى مجيئه ، فكيف ذلك ؟! .

يقول لنا بعض أهل العلم فى هذا الشأن : إن عادة الله جرت بأن الأمر الجليل إذا قضى بإيصاله إلى الخلق أن يكون معه ترشيح وتأسيس ، فكان ما يراه النبى ﷺ من الرؤيا الصادقة ، ومحبة الخلوة ، والتعبد من ذلك ، فلما فجأه الملك فجأة بغتة وهذا أمر خالف العادة – والمألوف ، فنفر طبعه البشرى منه ، وهاله ذلك ، و لم يتمكن من التأمل فى تلك الحال ، لأن النبوة لا تزيل طباع البشرية كلها ، فلا يتعجب أن يجزع مما لم يألفه ، وينفر طبعه منه حتى إذا تدرج عليه ، وألفه ، كان من مقدمات

---

(١) عودى : أوذى .

(٢) مؤزراً : أى قوياً ، مأخوذ من الأزر وهو القوة ، وقال أبو شامة : يحتمل أن يكون من الإزار ، أشار بذلك إلى تشميره فى نصرته .

(٣) ينشب : يلبث وأصل النشوب التعلق ، أى لم يتعلق بشىء من الأمور حتى مات .

(٤) فتور الوحى : عبارة عن تأخر مدة من الزمان ، وكان ذلك ليذهب ما كان ﷺ وجده من الروع وليحصل له التشوق إلى العود .

(٥) يتردى : يلقى بنفسه من شاهق .

(٦) أوفى : وصل .

(٧) ذروة : أعلى .

(٨) ، تبدى : ظهر .

(٩) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٣) ، (٣٣٩٢) ، (٤٩٥٣) ، (٤٩٥٥) ، (٤٩٥٦) ، (٤٩٥٧) ، (٦٩٨٢) ، ومسلم (٢٥٢) ، وأحمد (٣٧٧/٣) ، (٢٣٣/٦) ، والبغوى (٣١٧/١٣) فى شرح السنة ، والبيهقى (٥١/٧) ، (٦/٩) فى السنن الكبرى ، و (١/ ٦٩) فى دلائل النبوة .

تأسيس النبوة فترة الوحى ليتدرج فيه ، ويمرن عليه ، فشق عليه فتوره إذا لم يكن خوطب عن الله بعد : إنك رسول من الله ، ومبعوث إلى عباده ، فأشفق أن يكون ذلك أمر بدىء به ، ثم لم يرد استفهامه فحزن لذلك ، حتى تدرج على احتمال أعباء النبوة ، والصبر على ثقل ما يرد إليه فتح الله له من أمره بما فتح ومثال ما وقع له فى أول ما خوطب ، و لم يتحقق الحال على جليتها مثل رجل سمع آخر يقول : « الحمد لله » فلم يتحقق أنه يقرأ حتى إذا وصلها بما بعدها من الآيات ، تحقق أنه يقرأ ، وكذا لو سمع قائلاً يقول : خلت الديار ، لم يتحقق أنه ينشد شعراً حتى يقول : « محلها ومقامها » .

هكذا كان حال نبينا ﷺ عندما تأخر عنه الوحى .

وهناك شبهة أخرى ، ذكرها الإمام الإسماعيلى بقوله :

موه بعض الطاعنين على المحدثين ، فقال : كيف يجوز بنبى أن يرتاب فى نبوته حتى يرجع إلى ورقة ، ويشكو لخديجة ما يخشاه ، وحتى يوفى بذروة بجبل ليلقى منها نفسه ؟! .

قال الإسماعيلى إجابة على الشق الأول من السؤال ما ذكرناه أما الشق الثانى من السؤال فأجاب عنه بقوله :

أما إرادته إلقاء نفسه من رؤوس الجبال بعد ما نبىء فلضعف قوته عن تحمل ما حمله من أعباء النبوة ، وخوفاً مما يحصل له من القيام بها من مباينة الخلق جميعاً ، كما يطلب الرجل الراحة من غمٍّ يناله فى العاجل بما يكون فيه زواله عنه ، ولو أفضى إلى إهلاك نفسه عاجلاً ، حتى إذا تفكر فيما فيه صبره على ذلك من العقبى المحمودة صبر ، واستقرت نفسه .

قال ابن حجر : أما الإرادة المذكورة ففى صريح الخبر أنها كانت حُزناً على ما فاته من الأمر الذى بشره به ورقة ، وأما الإرادة الثانية بعد أن تبدى له جبريل ، وقال له : إنك رسول الله حقاً فيحتمل ما قاله ، والذى يظهر لى أنه بمعنى الذى قبله ، وأما المعنى الذى ذكره الإسماعيلى فوقع قبل ذلك فى ابتداء مجىء جبريل ، ويمكن أن يؤخذ مما أخرجه الطبرى من طريق النعمان بن راشد عن ابن شهاب فذكر نحو حديث الباب وفيه : فقال لى : يا محمد أنت رسول الله حقاً . قال : فلقد هممت أن أطرح نفسى

من حالق جبل ، أى من علوه .

**الخلاصة مما سبق أن الوحى انقطع عن الرسول ﷺ ليشتد شوقه إلى نداء السماء ، وقد كان ، حتى أشتد به الشوق ، وخاف أن يكون قد امتنع عنه الوحى نهائياً ، حتى صار كلما أتى ذروة جبل بدا له أن يرمى نفسه حذراً من انقطاع الوحى عنه بعد أن أحَسَّ بأنه نعمةٌ كبرى من نعم الله عليه ، وهى اختياره لأن يكون واسطةً بينه وبين خلقه ، فيتبدى له الملك قائلاً : أنت رسول الله حقاً ، لكى يطمئن خاطره ، ويرجع وصل إليه حاله .**

أما موقف الحزن الذى عاشه ﷺ فنتعلم منه كما عانى رسولنا ﷺ فى سبيل أن يصل إلينا نداء السماء ، وتنزل إلينا أعظم الآلاء ، وأجل النعماء ، ألا وهى نعمة القرآن الكريم .

وهذه الصورة التى رأيناها من صور الوحى ليست هى الصورة الوحيدة التى كان الوحى يأتيه فيها .

فلقد كان الوحى يأتى أحياناً مثل صلصلة الجرس .

وأحياناً كان يتمثل فى صورة ملك يخاطب الرسول ﷺ فيعى عنه .

وأحياناً كان يأتى فى صورة الرؤيا الصالحة فى النوم .

ولكن كيف انتهى موقف الحزن الذى رأيناه من قبل ؟ .

لعلَّ موقف الحزن الذى شاهدناه منذ قليل لم ينته إلا بمجىء الوحى مرة ثانية ! .

ويروى لنا هذا الصحابى الجليل جابر بن عبد الله – رضى الله عنه – فيقول : قال رسول الله ﷺ :

**« بينما أنا أمشى إذ سمعت صوتاً فى السماء ، فرفعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء[1] جالسٌ على كرسى بين السماء والأرض ، فَجِئِتُ[2] منه رعباً فرجعت فقلت : زملونى ، زملونى ، فدثرونى[3]، فأنزل الله عز**

---

(١) أراد جبل حراء الذى جاءه جبريل – عليه السلام – بالوحى فيه .

(٢) أى فزعت ورعبت ، يقال : جئث الرجل إذا فزع ، فهو مجئوث أى مذعور مفزوع .

(٣) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٤/١) ، (٦/٢٠١ – ٢٠٢ الشعب ) ، ومسلم ( ٢٠٦/٢ نووى ) ، والترمذى (٣٣٨١) ، وأحمد (٣/٣٢٥ ، ٣٧٧) ، وابن أبى الدنيا (١) فى الهواتف كلهم من حديث جابر .

● وأخرجه أحمد (٦/٢٢٣ ، ٢٣٣ ) من حديث عائشة – رضى الله عنها – .

وجل :

﴿ **يأيها المدثر** ﴾ .

أى : يأيها المتلفف بثيابه .

﴿ **قم فأنذر** ﴾ أى : حذر الناس من عذاب الله ، إن لم يرجعوا عن غيهم ، وما كان يعبد آباؤهم .

﴿ **وربك فكبر** ﴾ أى : لا تشرك مع ربك فى ذلك غيره .

﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ أى : كن متطهراً لتكون مستعداً للوقوف بين يدى الله إذ لا يليق بالمؤمن أن يكون غير متطهر بين يدى ربه عز وجل .

﴿ **والرجز فاهجر** ﴾ أى اهجر أسباب الرجز ، وهو العذاب ، بأن تطيع الله ، وتنفذ أمره .

﴿ **ولا تمنن تستكثر** ﴾ أى : لا تهب أحداً هبة ، وأنت تطمع أن تستعيض من الموهوب له أكثر مما وهبك ، فهذا ليس من شأن الكرام .

﴿ **ولربك فاصبر** ﴾ أى : أصبر على ما سيلحقك من أذى قومك حينما تدعوهم إلى توحيد الله ، وتتابع الوحى بعد ذلك .

# حزنٌ طويلٌ فى موقفٍ أليمٍ

عن عائشة – رضى الله عنها – زوج النبى ﷺ أنها قالت لرسول الله ﷺ :

يا رسول الله ، ما أتى عليك يومٌ كان اشَدَّ عليك من يوم أحد ؟

قال : « **لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسى على ابن عبد يا ليل فلم يُجبنى ، فانطلقت ، وأنا مهمومٌ على وجهى ، فلما كُنتُ بموضع كذا رفعت رأسى ، فإذا أنا قد أظلتنى سحابةٌ ، فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى ، فقال : إن الله عز وجل قد سمع قول قومك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فنادانى ملك الجبال فسلم علىَّ ، ثم قال : يا محمد ، إن الله عز وجل قد سمع قول قومك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثنى ربك إليك لتأمرنى بأمرك فيما شئت ، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين**[1] .

**فقلت : أرجو أن يخرج الله من أصلابهم**[2] **من يعبد الله لا شريك له** »[3] .

هذا الموقف العصيب الذى عاش فيه رسولنا ﷺ يعلمنا كمال شفقته ، وسعة رحمته ، ومزيد حلمه وصبره ﷺ .

ويعلمنا هذا الموقف الذى دخل فيه الحزن إلى قلب النبى ﷺ أن المؤمن لا يقنط أبداً وهو يدعو إلى الله تعالى ، مهما قابل من محن وعقبات ، وشدائد وابتلاءات .

ومن خلال هذا الموقف النبوى نتعلم الثبات على الحق مهما كانت الظروف ، ومهما زادت المصائب .

**ومع الدموع والأحزان فى حياة الرسول ﷺ نكمل المسير .**

---

(١) الأخشبان : هما جبلا مكة أبو قبيس والذى يقابله .

(٢) الصُّلْبُ : عظم من لدن الكاهل إلى عضو الذنب ، والجمع أصلاب ، الصلب فى حقيقته الظهر .

(٣) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٤/١٣٩ – ١٤٠) ، ومسلم (١٥٤ – ١٥٥) ، وابن أبى الدنيا (٢) فى الهواتف ، وابن حبان (٨/١٣٢) .

obeikandl.com

١ - أحزان عند فراق الوطن .

٢ - حادثة الحزن الأكبر ..

٣ - حزن لوفاة المرأة السوداء .

٤ - حزن لمقتل حمزة بن عبدالمطلب .

٥ - دموعٌ وأحزانٌ عند سكرات الموت .

obeikandl.com

obeikandl.com

# أحزانٌ عند فراق الوطن

عن عبدالله بن عدى – رضى الله عنه – أنه قال :

**رأيت رسول الله ﷺ واقفاً على الحزورة[1]، فقال :**

**« والله ، إنك لخير أرض ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت »[2].**

موقفٌ حزينٌ على قلب رسول الله ﷺ ، عاش فيه ، وتألم من أجله ، ولكن كيف كان هذا الموقف ؟ ولم كان ؟ .

**أخى المسلم .. أختى المسلمة ..**

هذا الموقف الحزين الذى عاشه رسولنا ﷺ ذكر بعض أهل العلم أنه كان عند هجرته ﷺ ، وفى أثناء خروجه من مكة المكرمة .

وهناك من قال أن هذا الموقف كان يوم فتح مكة .

هنا وقف النبى على هذا التل ( الحزورة ) ، وقال قوله التالى :

**« والله إنك لخير أرض الله ، وأحبُّ أرض الله إلى الله » .**

هكذا هى مكة خير بقاع الأرض عند الله تعالى وأشرفها[3].

**« ولولا أنى أخرجت منك »** أى لولا أن الله عز وجل أمرنى بالهجرة ما خرجت من أرضك .

وقوله **« ما خرجت »** فيه دلالةٌ على أنه لا ينبغى للمؤمن أن يخرج منها حقيقة ، أو حكماً ، وهو الضرورة الدينية أو الدنيوية[4].

---

(١) الحزورة : على وزن القسورة موضع بمكة ، والحزورة فى الأصل بمعنى التل الصغير ، سميت بذلك لأنه كان هناك تل صغير .

وقيل : لأن وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد كان ولى أمر البيت بعد جرهم فبنى صرحاً كان هناك ، وجعل فيه أمة يقال لها حزورة فسميت حزورة مكة بها .

(٢) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٤/٣٠٥) ، والترمذى (٤٠١٨) وقال : حسن غريب صحيح ، وابن ماجه (٣١٠٨) ، والدارمى (٢/٢٣٩) ، والحاكم (٣/٧ ، ٤٣١) وصححه ، وله طريق آخر من حديث أبى هريرة كما أشار الترمذى .

(٣) وللسيوطى رسالة فى الحجج المبينة بين مكة والمدينة ، وللأزرقى كتاب « فضائل مكة » .

(٤) تحفة الأحوذى (١٠/٤٢٦) .وابن حبان (١٠٢٦) ، ابن ماجه (٢٩٣٢) ، والحاكم (١/٤٨٦) .

ولقد روى هذا الحديث ابن عباس – رضى الله عنهما – فقال : قال رسول الله ﷺ لمكة :

**« ما أطيبك من بلدٍ ، وأحبك إلىّ ، ولولا أن قومى أخرجونى منك ما سكنت غيرك »**[1].

فقوله **« ما أطيبك من بلد ؟! »** صيغة تعجب ، و **« أحبك إلىّ »** عطفٌ عليه .

وقوله : **« ولولا أن قومى أخرجونى »** أى : صاروا سبباً لخروجى .

وقوله : **« ما سكنت غيرك »** هذا دليلٌ على أن مكة أفضل من المدينة ، وهو دليلُ الجمهور فى هذه المسألة .

ولكن عندما نتأمل فى موقف الحزن الذى عاشه نبينا ﷺ نجد الحنين إلى موطن أصله ، والحنين إلى الوطن حيث كعبة الله حماها الله ، ومواطن الأجداد .

والحنين إلى الوطن من الأمور التى يُجبل عليها المرء ، وبحب الأوطان تُعمر الأوطان .

ولكن ليس حب الوطن لما فيه من ترابٍ إنما هو لما فيه من مواضع يُعبد الله فيها ، ولمن فيه من الموحدين ، والذاكرين لربهم .

ولقد سئل أعرابى : ما الغبطة ؟ فقال : الكفاية ، ولزوم الأوطان ، والجلوس مع الإخوان .

ومن ثم فلا عجب إذا شبهت العرب الغريب باليتيم اللطيم ، الذى ثكل أبويه ، فلا أم ولا أب له .

وكان يقال : الغريب عن وطنه ، ومحل رضاعه كالغرس الذى زايل أرضه ، وفقد شربه ، فهو ذاوٍ لا يثمر ، وذابل لا ينضر .

ولهذا قال الشاعر :

**أحِنّ إلى أرضِ الحجاز وحاجتى  خيامٌ بِنَجْدٍ دُونَها الطَّرفُ يقصرُ**

---

(١) أخرجه الترمذى (٤٠١٩) .

وما نظرى من نحو نَجدٍ بنافعي أجَلْ لا ولكنى على ذاك أنظرُ
أفى كل يَوْمٍ نظرةٌ ثم عبرةٌ لعينيك يجرى ماؤها يتحـدّرُ
متى يستريح القلبُ إما مُجَاوزٌ حزينٌ وإما نـازحٌ يتذكـرُ

والحنين إلى الوطن لا يصل أبداً إلى مرحلة جعله من الإيمان ، ولا يغرنا الحديث المكذوب « حب الوطن من الإيمان »[1].

ولكن مقصودنا بالحنين إليه الرغبة فى العيش مع أهله حيث التوحيد والإسلام ، وبيوت الرحمن ، وحيث ارتفاع نداء الإيمان فى كل يومٍ خمس مرات .

ولقد قيل فى حب الوطن الأم :

« أحق البلدان بنزعك إليه بلد أمصّك حلب رضاعه » .

وقيل : احفظ بلداً أرشحك غذاؤه ، وارع حِمىً أكنك فِناؤه .

وقيل : لا تشكون بلداً فيه قبائلك ، ولا أرضاً فيها قوابلك .

وقيل : من علامة الرشد أن تكون النفس إلى أوطانها مشتاقة ، وإلى مولدها تَوّاقَة .

**فسلامٌ على رسولنا ﷺ فى العالمين ، وسلامٌ على جميع المرسلين .**

(١) حكم بوضعه الصغانى (ص/٧) وغيره .

# حادثة الحزن الأكبر ..

عن أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – قالت :

كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع[1] بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمُها خرج بها معه ، فأقرع بيننا فى غزوة غزاها ، فخرج سهمى[2]، فخرجت معه بعدما نزل الحجاب[3]، وأنا أحمل فى هودج[4] وأنزل فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين[5]، آذن ليلة بالرحيل ، فقمت حينئذ ، فمشيت حتى جاوزت الجيش[6]، فلما قضيت حاجتى أقبلت إلى رحلى ، فإذا عِقد[7] لى من جزع ظفار[8] قد انقطع ، فالتمسته وحبسنى التماسه ، وأقبل الرهط[9] الذين كانوا يرحلون بى ، فاحتملوا هودجى ، فرحلوه على بعيرى وهم يحسبون أنى فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يُثقلهن اللحم ، إنما يأكلن العُلْقة[10] من الطعام ، فلم يستنكر خفة المحمل حين رفعوه[11]، وكنت

(١) أجرى القرعة . (٢) هذا يشعر بأنها كانت فى تلك الغزوة وحدها .

(٣) أى بعد ما نزل الأمر بالحجاب ، والمراد حجاب النساء عن رؤية الرجال لهن ، وكن قبل ذلك لا يمنعن ، وهذا قالته كالتوطئة للسبب فى كونها كانت مستترة فى الهودج حتى أفضى ذلك إلى تحميله ، وهى ليست فيه ، وهم يظنون أنها فيه ، بخلاف ما كان قبل الحجاب ، فلعل النساء حينئذ كن يركبن ظهور الرواحل بغير هوادج ، أو يركبن الهوادج غير مستترات ، فما كان يقع لها الذى يقع ، بل يعرف الذى كان يخدم بعيرها إن كانت ركبت أم لا قاله ابن حجر فى الفتح (٤٥٨/٨) .

(٤) الهودج : بفتح الهاء والدال بينهما واو ساكنة : محمل له قبة تستر فيه بالثياب ونحوه ، يوضع على ظهر البعير ، ليركب فيه النساء ليكون أستر لهن .

(٥) قافلون : أى راجعون ، والمراد أن القصة حدثت وقت حال رجوعهم من الغزوة ، قُرب دخولهم المدينة .

(٦) أى : لتقضى حاجتها منفردة . (٧) العقد : القلادة تعلق فى العنق للتزين بها .

(٨) جزع : خرز معروف فى سواده بياض ، وظفار مدينة باليمن ، وهو الأرجح ، وقيل : جبل ، وقيل : سميت المدينة وهى فى أقصى اليمن إلى جهة الهند ، وفى المثل : « من ظفار حمر » أى تكلم بالحميرية ، لأن أهلها كانوا من حمير .

(٩) الرهط : هو عددٌ من ثلاثة إلى عشرة .

(١٠) العلقة : القليل ، قال القرطبى : كأن المراد الشىء القليل الذى يسكن الرمق .

(١١) مرادها إقامة عذرهم فى تحصيل هودجها ، وهى ليست فيه ، فكأنها تقول : كأنها لخفة جسمها =

جارية حديثة السن[1]، فبعثوا الجمل[2] وساروا ، فوجدتُ عِقدى بعد ما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ، ولا مُجيب[3].

فأممتُ منزلى[4]. الذى كنت فيه ، وظننت أنهم سيفقدونى فيرجعون[5] إلَىَّ ، فبينا أنا جالسةٌ غلبتنى عينى ، فنمت[6].

وكان صفوان المُعطَّل السُّلَمى ، من وراء الجيش ، فأدلج ، فأصبح عند منزلى[7]، فرأى سواد إنسان نائم[8]، فأتانى ، فعرفنى حين رآنى ، وكان

---

= بحيث أن الذين يحملون الهودج هودجها لا فرق عندهم بين وجودها فيه وعدمها ، ولهذا أردفت بقولها : وكنت جارية حديثة السن ، أى أنها مع نحافتها صغيرة السن ، فذلك أبلغ فى خفتها . وقد وجهت الرواية الأخرى بأن المراد لم يستكروا الثقل الذى اعتادوه ، لأن ثقله فى الأصل إنما هو مما ركب الهودج منه من خشبٍ وحبالٍ ، وستور ، وغير ذلك .

وأما هى فلشدة نحافتها كان لا يظهر بوجودها فيه زيادة الثقل .

والحاصل : أن الثقل والخفة من الأمور الإضافية فيتفاوتان بالنسبة ، ويستفاد من ذلك أيضاً أن الذين كانوا يرحلون بعيرها كانوا فى غاية الأدب معها ، والمبالغة فى ترك التنقيب عما فى الهودج بحيث أنها لم تكن فيه وهم يظنون أنها فيه ، وكأنهم جوزوا أنها نائمة . انظر : الفتح (٨/٤٦٠) .

(١) كانت لم تكمل خمس عشرة سنة . (٢) أى أثاروه .

(٣) إن قيل : لم لم تستصحب عائشة معها غيرها فكان أدعى لأمنها مما يقع للمنفرد ؟ ولكانت لما تأخرت للبحث عن العقد ترسل من رافقها لينتظروها إن أرادوا الرحيل ؟ .

الجواب : أن هذا من جملة ما يستفاد من قولها « حديثة السن » لأنها لم يقع لها تجربة مثل ذلك ، وقد صارت بعد ذلك إذا خرجت لحاجتها تستصحب كما سيأتى فى قصتها مع أم مسطح .

(٤) أى قصدت .

(٥) قيل : إنهم أقاموا إلى وقت الظهر ، ولم يرجع أحدٌ منهم إلى المنزل الذى كانت به ، ولا نقل أن أحداً لاقاها فى الطريق ، لكن يحتمل أن يكونوا استمروا فى السير إلى قرب الظهر ، فلما نزلوا اشتغلوا بحط رحالهم وربط رواحلهم ، واستصحبوا حالهم فى ظنهم أنها فى هودجها لم يفتقدوها إلى أن وصلت على قرب ، ولو فقدوها لرجعوا كما ظننته ، وهذا ظاهرٌ فى أنها لم تتبعهم .

(٦) يحتمل أن يكون سبب النوم شدة الغم الذى حصل لها فى تلك الحالة . ومن شأنه الغم – وهو بوقوع ما يكره – غلبة النوم ، بخلاف الهم وهو توقع ما يكره ، فإنه يقتضى السهر ، أو لما وقع من برد السحر لها من رطوبة بدنها وصغر سنها . انظر : الفتح (٨/٤٦١) .

(٧) كأنه تأخر فى مكانه حتى قرب الصبح فركب ليظهر له ما يسقط من الجيش مما يخفيه الليل . ويحتمل أن يكون سبب تأخيره ما جرت به عادته من غلبة النوم عليه .

(٨) السواد بلفظ ضد البياض يطلق على الشخص أى شخصٍ كان ، فكأنها قالت رأى شخص آدمى ، لكن لا يظهر أهو رجل أو امرأة .

يرانى قبل الحجاب[1]، فاسترجع[2]، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفت[3]، فخمرت وجهى بجلبابى ، والله ما كلّمنى كلمة ، ولا سمعت منه كلمةً غير استرجاعه ، فأناخ راحلته ، فوطىء على يديها فركبتها[4].

فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين[5] فى نحر الظهيرة[6]، فهلك من هلك فىَّ[7]، وكان الذى تولى كِبْرَ الإفك[8] عبدُالله ابن أبىّ بن سلول .

فقدمنا المدينة ، فاشتكيت شهراً ، والناس يُفيضُون فى قول أهلِ الإفك ، ولا أشعر بشىءٍ من ذلك ، ويريبُنى فى وجعى أنى لا أعرف من رسول الله ﷺ اللُّطْفَ الذى كنت أرى منه حين اشتكى[9]، إنما يدخُلُ علىَّ ، فيُسلِّم ، ثم يقول : كيف تيكم[10]؟ ثم ينصرف ، فذلك الذى يريبنى ، ولا أشعر بالشر ، حتى خرجت بعد ما نقهت[11]، فخرجت مع أم مسطح قبل

---

(١) أى قبل نزول آية الحجاب ، وهذا يدل على قدم إسلام صفوان ، فإن الحجاب كان فى قول أبى عبيدة وطائفة فى ذى القعدة سنة ثلاث ، وعند آخرين فيها سنة أربع ، وصححه الدمياطى ، وقيل : بل كان فيها سنة خمس .

(٢) أى بقوله إنا لله وإنا إليه راجعون ، وكأنه شق عليه ما جرى لعائشة أو خشى أن يقع ما وقع ، أو أنه اكتفى بالاسترجاع رافعاً به صوته عن مخاطبتها بكلام آخر صيانة لها عن المخاطبة فى الجملة وقد كان عمر يستعمل التكبير عند إرادة الإيقاظ ، وفيه دلالة على فطنة صفوان وحسن أدبه .

(٣) أرادت بهذه العبارة نفى المكالمة ألْبَتَّةَ فقالوا : استعمل معها الصمت اكتفاء بقرائن الحال مبالغة منه فى الأدب ، وإعظاماً لها وإجلالاً .

(٤) أى ليكون أسهل لركوبها ، ولا يحتاج إلى مسها عند ركوبها .

(٥) أى : نازلين فى وقت الوغرة بفتح الواو ، وسكون الغين ، وهى شدة الحر لما تكون الشمس فى كبد السماء ، ومنه أخذ وغر الصدر ، وهو توقده من الغيظ بالحقد ، وأوغر فلان إذا دخل فى ذلك الوقت كأصبح وأمسى .

(٦) فى نحر الظهيرة : تأكيد لقوله موغرين ، فإن نحر الظهيرة أولها وهو وقت شدة الحر ، ونحر كل شىءٍ أوله كأن الشمس لما بلغت غايتها فى الارتفاع كأنها وصلت إلى النحر الذى هو أعلى الصدر .

(٧) أبهمت القائل وما قال ، وأشارت بذلك إلى الذين تكلموا بالإفك ، وخاضوا فى ذلك ، قال ابن حجر : وأما أسماؤهم فالمشهور فى الروايات الصحيحة : عبدالله بن أبى ومسطح بن أثاثه ، وحسان ابن ثابت ، وحمنة بنت جحش .

(٨) أى تصدى لذلك وقلده ، وكبره أى كبر الإفك ، وكبر الشىء معظمه ، وقيل : المعنى الذى تولى إثمه .

(٩) أى حين أمرض .

(١٠) هى للمؤنث مثل ذاكم للمذكر

(١١) نقهت : بفتح القاف وقد تكسر ، والأول أشهر ، والناقه بكسر القاف الذى أفاق من مرضه ،=

المناصع[1]، وهو متبرزنا[2].

وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن نتَّخذ الكُنُف قريباً من بُيوتنا ، وأمرُنا أمر العرب الأُول من التبرُّز قبل الغائط ، وكنا نتأذى بالكُنُف أن نتخذها عند بُيوتنا ، فانطلقت أنا وأُمُّ مسطح بنت أبي رُهم بن عبد مناف ، وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثاثة ، فأقبلتُ أنا وهي قِبل بيتي ، قد فرغنا من شأننا ، فعثرت أُمُّ مسطح في مِرْطِها[3]، فقالت : تعس مسطح[4]! فقلتُ لها : بئس ما قُلت ! أتسبِّين رجلاً شهد بدراً ؟! .

قالت:أي هَنْتَاه[5]، أو لم تسمعي ما قال ؟ قلت : وما ذاك ؟ فأخبرتني الخبر ، فازددت مرضاً على مرضي .

فلما رجعت إلى بيتي ، ودخل عليَّ رسول الله ﷺ فسلَّم ، ثم قال : « **كيف تيكم ؟** » فقلت : أتأذن لي أن آتي أبويَّ ؟ وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما ، فأذن لي ، فجئت أبويَّ فقلت : يا أُمَّتاه ، ما يتحدثُ الناسُ ؟ .

---

=ولم تتكامل صحته . وقيل : إن الذى بكسر القاف بمعنى فهمت لكنه هنا لا يتوجه لأنها ما فهمت ذلك إلا فيما بعد ، وقد أطلق الجوهرى وغيره أنه بفتح القاف وكسرها لغتان فى برأ من المرض وهو قريب العهد لم يرجع إليه كمال صحته .

(١) قبل المناصع : أى جهتها ، والمناصع صعيد أفيح خارج المدينة .

(٢) متبرزنا : بفتح الراء موضع التبرز ، وهو الخروج إلى البراز وهو الفضاء ، وكله كناية عن الخروج إلى قضاء الحاجة .

(٣) المرط : كساء من حرير ، أو صوف ، أو كتان ، وقيل : هو الثوب الأخضر .

(٤) أى كب لوجهه ، أوهلك ولزمه الشر .

وقال ابن أبي جمرة : يحتمل أن يكون قول أم مسطح هذا عمداً لتتوصل إلى إخبار عائشة بما قيل فيها ، وهى غافلة ، ويحتمل أن يكون اتفاقاً أجراه الله على لسانها لتستيقظ عائشة من غفلتها عما قيل فيها .

(٥) أى حرف نداء للبعيد ، وقد يستعمل للقريب حيث ينزل منزلة البعيد ، والنكتة فيه هنا أن أم مسطح نسبت عائشة إلى الغفلة عما قيل فيها لإنكارها سب مسطح فخاطبتها خطاب البعيد ، وهنتاه : بفتح الهاء وسكون النون أى هذه ، وقيل : امرأة ، وقيل : بلهى كأنها نسبتها إلى قلة المعرفة بمكائد الناس .

قالت : يا بُنيةُ ! هوِّنى عليك ، فوالله لقلَّماكانت امرأةٌ وضيئة[1] عند رجلٍ يُحِبُّها لها ضرائر[2] إلا كثَّرن عليها[3].

فقلت : سبحان الله[4]؟ وقد تحدَّث الناسُ بهذا ؟! فبكيت الليلة حتى لا يرقأ لى دمعٌ[5]، ولا أكتحل بنومٍ[6]، ثم أصبحت أبكى ، فدعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب ، وأسامه بن زيد ، حين استلبث الوحى[7]، يستأمرهما فى فِراق أهله .

فأما أسامة ، فأشار على رسول الله بالذى يعلمُ من براءة أهله ، وبالذى يعلم لهم فى نفسه من الود ، فقال : يارسول الله ، أهلك ، ولا نعلم إلا خيراً .

وأما علىّ فقال : لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير[8]، واسأل

---

(١) وضيئة : بوزن عظيمة من الوضاءة أى حسنة جميلة .

(٢) ضرائر : جمع ضرة ، وقيل للزوجات ضرائر ، لأن كل واحدة يحصل لها الضرر من الأخرى بالغيرة .

(٣) أكثرن عليها : أى القول فى عيبها ، وفى هذا الكلام من فطنة أمها ، وحسن تأتيها فى تربيتها مالا مزيد عليه ، فإنها علمت أن ذلك يعظم عليها فهونت عليها الأمر بإعلامها بأنها لم تنفرد بذلك ، لأن المرء يتأسى بغيره فيما يقع له ، وأدمجت فى ذلك ما تطيب به خاطرها من أنها فائقة فى الجمال والحظوة ، وذلك مما يعجب المرأة أن توصف به ، مع مافيه من الإشارة إلى ما وقع من حمنة بنت جحش ، وأن الحامل لها على ذلك كون عائشة ضرة أختها زينب بنت جحش ، وعرف من هذا أن الاستثناء فى قولها إلا أكثرن عليها متصل لأنها لم تقصد قصتها بعينها ، بل ذكرت شأن الضرائر ، وأما ضرائرها هى فإنهن ، وان كن لم يصدر منهن فى حقها شىءٌ مما يصدر من الضرائر لكن لم يعدم ذلك ممن هو منهن بسبيل كما وقع من حمنة ، لأن ورع أختها منعها من القول فى عائشة كما منع بقية أمهات المؤمنات وإنما اختصت زينب بالذكر لأنها التى كانت تضاهى عائشة فى المنزلة . الفتح (٨/٤٦٧) .

(٤) استغاثت بالله متعجبة من وقوع مثل ذلك فى حقها مع براءتها المحققة عندها .

(٥) أى لا ينقطع . (٦) كناية عن السهر . (٧) أى طال لبث نزوله .

(٨) هذا الكلام الذى قاله علىٌّ حمله عليه ترجيح جانب النبى ﷺ لما رأى عنده من القلق والهم بسبب القول الذى قيل ، وكان ﷺ شديد الغيرة ، فرأى علىٌّ أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها فيمكن رجعتها ، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما قاله ابن حجر .

وقال النووى : رأى علىٌّ أن ذلك هو المصلحة فى حق النبى ﷺ ، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه ، فبذل جهده فى النصيحة لإرادة راحة خاطره ﷺ .

الجارية ، تصدقك[1] .

فدعا رسول الله ﷺ بريرة ، فقال : « **أى بريرة ، هل من رأيت من شيءٍ يريبك ؟** » .

قالت : لا والذى بعثك بالحق ، إن رأيتُ عليها أمراً[2] أغمصُه[3] عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن ، تنام عن عجين أهلها ، فيأتى الدَّاجنُ[4]، فيأكله[5].

فقام رسول الله ﷺ ، فاستعذر من عبد الله بن أُبى بن سلول ، فقال وهو على المنبر :

« **يا معشر المسلمين ، من يعذرنى من رجل[6] قد بلغنى أذاه فى أهل بيتى[7]، فو الله ما علمت على أهلى إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلى إلا معى** » .

فقام سعد بن معاذ فقال : يا رسول الله ، أنا أعذِرُك ، إن كان من الأوس ضربت عنقه[8]، وإن كان من إخواننا من الخزرج ، أمرتنا ، ففعلنا أمرك .

فقام سعد بن عبادة وهو سيِّدُ الخزرج ، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ،

---

(١) قال ابن أبى جمرة : لم يجزم علىٌّ بالإشارة بفراقها لأنه عقب ذلك بقوله « اسأل الجارية تصدقك » ففوض الأمر فى ذلك إلى نظر النبى ﷺ ، فكأنه قال : إن أردت تعجيل الراحة ففارقها ، وإن أردت خلاف ذلك فابحث عن حقيقة الأمر إلى أن تطلع على براءتها ، لأنه كان يتحقق أن بريرة لا تخبره إلا بما علمته ، وهى لم تعلم من عائشة إلا العادة المحضة .

(٢) أى : مارأيت فيها مما تسألون عنه شيئاً أصلاً ، وأما من غيره ففيها ما ذكرت من غلبة النوم لصغر سنها وضعف بدنها .

(٣) أغمصه : أى أعيبه .

(٤) الداجن : الشاة التى تألف البيت ، ولا تخرج إلى المرعى ، وقيل : هى كل ما يألف البيوت مطلقاً شاة أوطيراً .

(٥) قال ابن المنير : هذا من الاستثناء البديع الذى يراد به المبالغة فى نفى العيب ، ففغلتها عن عجينها أبعد لها من مثل الذى رميت به ، وأقرب إلى أن تكون من الغافلات المؤمنات .

(٦) قال الخطابى : يحتمل أن يكون معناه من يقوم بعذره فيما رمى أهلى به من المكروه ، ومن يقوم بعذرى إذا عاقبته على سوء ما صدر منه ؟ ورجح النووى هذا الثانى .

وقيل : معنى من يعذرنى من ينصرنى ، والعزيز الناصر . وقيل : المراد من ينتقم لى منه ؟

(٧) معناه : عابوا أهلى أو اتهموا أهلى .

(٨) إنما قال ذلك لأنه كان سيدهم فجزم بأن حكمه فيهم نافذ .

ولكن احتملته الحمية[1]، فقال لسعد : كذبت لعمرُ الله[2]، لا تقتله ، ولا تقدر على قتله[3].

فقام أسيد بن حضير – وهو ابن عم سعد بن معاذ – فقال : كذبت لعمر الله لنقتلنه[4]، فإنك منافقٌ تُجادلُ عن المنافقين[5]، فتثاور الحيَّان[6]: الأوس والخزرج ، حتى هموُّا أن يقتتلوا ، ورسول الله ﷺ قائمٌ على المنبر ، فلم يزل يَخفِضُهم حتى سكتوا وسكت .

قالت : فبكيتُ يومى ذلك وليلتى ، لا يرقأ لى دمعٌ ، ولا أكتحلُ بنومٍ ، فأصبح أبواى عندى[7]، وقد بكيتُ ليلتين ، ويوماً لا أكتحلُ بنومٍ ، ولا يرقأ لى دمعٌ ، حتى ظننت أن البكاء فالقٌ كبدى .

فبينما هما جالسان عندى ، وأنا أبكى ، استأذنت على امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكى معى ، فبينما نحن على ذلك ، دخل علينا رسول الله ﷺ ، فسلَّم ، ثم جلس ، ولم يجلس عندى مُنذ قيل لى ما قيل ، ولقد لبث شهراً لا يُوحى إليه فى شأنى شىءٌ[8].

قالت : فتشهد ، ثم قال : « **أما بعد ، يا عائشة ، فإنه قد بلغنى عنك كذا وكذا**[9]، **فإن كنت بريئة ، فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت**

---

(١) احتملته : أى أغضبته ، والحمية : العصبية ، والمراد : أى حملته على الجهل .

(٢) العمر : بفتح العين : هو البقاء ، وهو العمر بضمها ، لكن لا يستعمل فى القسم إلا بالفتح .

(٣) إشارة إلى أن قومه يمنعونه من قتله .

(٤) أى ولو كان من الخزرج إذا أمرنا النبى ﷺ بذلك ، وليست لكم قدرة على منعنا من ذلك .

(٥) أطلق أسيد ذلك مبالغة فى زجره عن القول الذى قاله ، فإنه لم يرد به نفاق الكفر ، وإنما أراد أنه كان يظهر المودة للأوس ، ثم ظهر منه فى هذه القصة ضد ذلك ، فأشبه حال المنافق لأن حقيقته إظهار شىء ، وإخفاء غيره ، ولعل هذا هو السبب فى ترك إنكار النبى ﷺ عليه .

(٦) فتثاور : تفاعل من الثورة ، والحيان حى ، والحى كالقبيلة ، أى نهض بعضهم إلى بعض من الغضب .

(٧) أى أنهما جاءا إلى المكان الذى هى به من بيتها ، لا أنها رجعت من عندهما إلى بيتها .

(٨) حكى السهيلى أن بعض المفسرين ذكر أن المدة كانت سبعة وثلاثين يوماً فألغى الكسر فى هذه الرواية ، وعند ابن حزم أن المدة كانت خمسين يوماً أو أزيد ، ويجمع بأنها المدة التى كانت بين قدومهم المدينة ونزول القرآن فى قصة الإفك ، وأما التقييد بالشهر فهو المدة التى أولها إتيان عائشة إلى بيت أبويها حين بلغها الخبر .

(٩) هو كناية عما رميت به من الإفك ، ولم أر فى شىءٍ من الطرق التصريح ، فلعل الكناية من =

بذنب[1]، فاستغفرى الله ، وتوبى إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب ، تاب الله عليه »[2].

فلما قضى مقالته ، قلص دمعى[3] حتى ما أُحِسُّ منه قطرة ، فقلت لأبى : أجِبْ رسول الله فيما قال[4]، قال : والله ما أدرى ما أقولُ لرسول الله ﷺ ، فقلت لأمى : أجيبى رسول الله ﷺ ، قالت : ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ ، فقلتُ : وأنا يومئذ حديثةُ السنِّ ، لا أقرأ كثيراً من القرآن[5]: إنى والله لقد علمت ، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم ، وصدقتم به[6]، فلئن قلت لكم : إنى بريئة والله يعلم أنى بريئة – لاتُصدقونى بذلك[7]، ولئن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلمُ أنى بريئة ،

---

= لفظ النبى ﷺ .

(١) أى وقع منك على خلاف العادة ، وهذا حقيقة الإماء ، ومنه :
ألمت بنا والليل مرخ ستوره .

(٢) قال الداودى : أمرها بالاعتراف ولم يندبها إلى الكتمان للفرق بين أزواج النبى ﷺ وغيرهن ، فيجب على أزواجه الاعتراف بما يقع منهن ، ولا يكتمنه إياه ، لأنه لا يحل لنبى إمساك ما يقع منها ذلك ، بخلاف نساء الناس ، فإنهن ندبن إلى الستر .

وتعقبه القاضى عياض بأنه ليس فى الحديث ما يدل على ذلك ، ولا فيه أنه أمرها بالاعتراف ، وإنما أمرها أن تستغفر الله وتتوب إليه أى فيما بينها وبين ربها ، فليس صريحاً فى الأمر لها بأن تعترف عند الناس بذلك .

(٣) قلص دمعى : بفتح القاف واللام أى : استمسك نزوله فانقطع ، ومنه : قلص الظل وتقلص
قال القرطبى : سببه أن الحزن والغضب إذا أخذ أحدهما فقد الدمع لفرط حرارة المصيبة

(٤) قيل : إنما قالت عائشة لأبيها ذلك مع أن السؤال إنما وقع عما فى باطن الأمر ، وهو لا اطلاع له على ذلك ، لكن قالته إشارة إلى أنها لم يقع منها شىءٌ فى الباطن يخالف الظاهر الذى هو يطلع عليه ، فكأنها قالت له : برئنى بما شئت وأنت على ثقة من الصدق فيما تقول ، وإنما أجابها أبو بكر بقوله لا أدرى لأنه كان كثير الاتباع لرسول الله ﷺ ، فأجاب بما يطابق السؤال فى المعنى ، ولأنه وإن كان يتحقق براءتها لكنه كره أن يزكى ابنته .

(٥) قالت هذا توطئة لما سيأتى ذكره .

(٦) قالت هذا وإن لم يكن على حقيقته على سبيل المقابلة لما وقع من المبالغة فى التنقيب عن ذلك ، وهى كانت لما تحققته من براءة نفسها ومنزلتها تعتقد أنه كان ينبغى لكل من سمع عنها ذلك أن يقطع بكذبه ، لكن العذر لهم عن ذلك أنهم أرادوا إقامة الحجة على من تكلم فى ذلك ، ولا يكفى فيها مجرد النفى لما قالوا ، والسكوت عليه ، بل تعين التنقيب عليه لقطع شبههم أو مرادها بمن صدق به أصحاب الإفك ، لكن ضمت إليه من لم يكذبهم تغليبا .

(٧) أى لا تقطعون بصدق ، وإنما قالت ذلك لأن المرء مؤاخذ بإقراره .

لتُصدِّقُنِّى ، والله ما أجدُ لى ولكم مثلاً إلا قول أبى يُوسف : ﴿ **فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون** ﴾[1].

ثم تحولت ، فاضطجعت على فراشى ، وأنا أعلم أنى بريئة ، وأن الله تعالى يُبرئنى ببراءتى ، ولكن والله ما ظننتُ أن الله ينزل فى شأنى وحياً يُتلى ، ولشأنى كان فى نفسى أحقر من أن يتكلم اللهُ فىَّ بأمر يُتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى النوم رؤيا يُبرئنى اللهُ بها .

قالت : فو الله ما قام رسول الله ﷺ ، ولا خرج أحدٌ من أهل البيت ، حتى نزل الوحىُ ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء[2]، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان[3] من العرق ، وهو فى يومٍ شاتٍ ، من ثقل القول الذى ينزلُ عليه .

فلما سُرِّى[4] عنه وهو يضحك ، كان أول كلمة تكلم بها : « **يا عائشة ، أما والله لقد برأك الله** »[5].

**فقالت أمى : قُومى إليه ، فقلتُ : والله لا أقومُ إليه ، ولا أحمدُ إلا الله**[6]، **وأنزل الله تعالى : ﴿ إنَّ الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ﴾**[7] العشر الآيات كلها .

---

(١) سورة يوسف : ١٨ .

(٢) البرحاء : بضم الباء ، وفتح الراء : هى شدة الحمى ، وقيل : شدة الكرب ، وقيل : شدة الحر ، ومنه برح بى الهمُ إذا بلغ منى غايته .

(٣) الجمان : بضم الجيم اللؤلؤ ، وقيل : حبٌ يعمل من الفضة كاللؤلؤ .
وقال الداودى : خرز أبيض ، والأول أولى ، فشبهت قطرات عرقه ﷺ بالجمان لمشابهتها فى الصفاء والحسن .

(٤) أى الكشف .

(٥) أى بما أنزل من القرآن .

(٦) عذرها فى إطلاق ذلك ما ذكرته من الذى خامرها من الغضب من كونهم لم يبادروا بتكذيب من قال فيها ما قال مع تحققهم حسن طريقتها .
قال ابن الجوزى : إنما قالت ذلك إدلالاً كما يدل الحبيب على حبيبه .
وقيل : أشارت إلى إفراد الله تعالى بقولها « فهو الذى أنزل براءتى » فناسب إفراده بالحمد فى الحال ، ولا يلزم منه ترك الحمد بعد ذلك . ويحتمل أن تكون مع ذلك تمسكت بظاهر قوله ﷺ لها « احمدى الله » ففهمت منه أمرها بإفراد الله تعالى بالحمد فقالت ذلك ، وما أضافته إليه من الألفاظ المذكورة كان من باعث الغضب .

(٧) سورة النور : ١١ .

فلما أنزل الله هذا فى براءتى ، قال أبو بكر[1]، وكان يُنفق على مِسطح لقرابته وفقره : والله لا أُنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذى قال لعائشة .

فأنزلت : ﴿ **ولا يأتل[2] أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى و المساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم** ﴾ .

قال : بلى والله ، إنى لأُحبُّ أن يغفر الله لى ، فرجع إلى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً .

قالت : وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمرى .

فقالت : أحمى سمعى وبصرى[3]، ما علمت إلا خيراً ، وهى التى كانت تسامينى[4] من أزواج النبى ﷺ فعصمها الله بالورع[5]، وطفقت أختها حمنة تُحاربُ لها[6]، فهلكت فيمن هلك[7] من أصحاب الإفك[8].

**أخى المسلم .. أختى المسلمة ..**

هذا الموقف الطويل الذى عشنا مع أحداثه من أكثر المواقف التى أحدثت الحزن فى صدر الرسول ﷺ ، ولم لا ؟! .

وفى هذا الموقفُ يتهم خير ، وأفضل خلق الله تعالى فى زوجه !! .

حقاً إنه موقفٌ عصيبٌ ، وحادث مرير ، وهول عظيم .

---

(١) يؤخذ منه مشروعية ترك المؤاخذة بالذنب ما دام احتمال عدمه موجوداً لأن أبا بكر لم يقطع نفقة مسطح إلا بعد تحقق ذنبه فيما وقع منه .

(٢) معناه : لا يفتعل من آليت أى أقسمت ، وله معنى آخر من ألوت أى قصرت .

(٣) أى من الحماية فلا أنسب إليهما مالم أسمع وأبصر .

(٤) تسامينى : تعالينى ، من السمو وهو العلو والارتفاع ، أى : تطلب من العلو والرفعة ، والحظوة عند النبى ﷺ ما أطلب .

(٥) أى حفظها ومنعها بالمحافظة على دينها ، ومجانبة ما تخشى سوء عاقبته .

(٦) تحارب لها : أى تجادل لها ، وتتعصب وتحكى ما قال أهل الإفك لتخفض منزلة عائشة ، وتعلو مرتبة أختها زينب .

(٧) أى حدثت فيمن حدث أو أثمت مع من أثم .

(٨) حديثٌ صحيحٌ . أخرجه البخارى (٤٧٥٠) ، ومسلم (٢٧٧٠) ، وأحمد (١٩٤/٦ - ١٩٧) ، وعبد الرزاق (٩٧٤٨) ، والترمذى (٣١٧٩)

إنه مخططٌ لتشويه صورة الدعوة الإسلامية فى مُثلها ، وحامل لوائها .

إنه النفاق والمنافقون ، والخداع والمخادعون ، والكذب والكذابون . أرادوا كيداً فى صميم الدين فلم يقدروا ، فليكن الكيد عن طريق حامل الرسالة ، وصاحب الأمانة .

ولكن إن ربك لهم بالمرصاد ، وهو من ورائهم محيط ، وبأعمالهم خبير ، وعلى سرائرهم عليم .

لقد صبر النبى ﷺ فى هذا الموقف الحزين صبراً جميلاً لكى نتعلم منه حال المؤمن عند نزول البلاء من السماء .

ولقد صبرت أم المؤمنين ، صبراً عظيماً ، وحلمت حلماً جميلاً لكى تعطى كل امرأة ينزل بها البلاء درساً عالياً فى تحمل الحزن وشدة البلاء .

إنه موقفٌ عظيمٌ بالغ الأثر ، ولكن أهل النفاق كانوا يحسبونه هيناً .

ولعل هذا الموقف الحزين يوضح لنا كم كانت الشدائد تلاحقه ﷺ ، فى كل يومٍ من أيام الدعوة ، بل فى كل ساعة ، بل فى كل خطوة من خطوات الدعوة إلى الله تعالى .

كانت الشدائد تنزل عليه ، وفى أهله ، وفى عشيرته ، ومع ذلك لا يتوقف عن دعوته ، ولا ينصرف جهده ، ولا يثنى عزمه عما طُلب منه .

وهذا الموقف الحزين يبين لنا أن مع العسر يسراً ، وأن النصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب .

وهذا الموقف الحزين يرصد لنا فيه بعض ملامح حياة الداعية إلى الله تعالى من عدم التعجل ، والتريث ، والنظر فى عواقب الأمور ، وتمحيص ما يقال ، فلا يقبل كل شىء ، ولا يرد كل شىءٍ إلا بدليلٍ وبرهان .

وهذا الموقف الحزين يرسم لنا الإطار الذى ينبغى على الداعى إلى سبيل الله أن يضع نفسه فيه ، ويتحمل كل ما يقال ويجرى عليه من أحداث .

وهذا الموقف الحزين يرشدنا إلى صفةٍ أصلية فى الداعى الناجح وهى عدم اليأس من نصر الله تعالى ، مهما اشتد البلاء .

وهذا الموقف الحزين الذى مَرَّ فى حياة الرسول ﷺ لم ينته إلا بنزول الوحى من السماء .

ولقد كان جزاء الذين أشاعوا الفاحشة فى أهل التقوى والصلاح أليماً .

تقول عائشة – رضى الله عنها – :

لما تلا رسول الله ﷺ القصة التى نزل بها عذرى على الناس ، نزل فأمر برجلين وامرأة ، ممن كان تكلم بالفاحشة فى عائشة ، فجُلدوا الحد[1].

هكذا دارت الدائرة على أهل السوء ، وحال الكرب عليهم ، فالجزاء من جنس العمل .

وهذا الموقف الأليم فى حياة نبينا ﷺ ذكر أهل العلم الكثير من الفوائد العلمية التى احتوى عليها ، وها هى ذا :

١ – مشروعية القرعة بين النساء ، وفى المسافرة بهن ، والسفر بالنساء حتى فى الغزو .

٢ – جواز حكاية ما وقع للمرء من الفضل ، ولو كان فيه مدح ناس ، وذم آخرين ، إذا تضمن ذلك إزالة توهم النقص عن الحاكى إذا كان بريئاً عند قصد نصح من يبلغه ذلك لئلا يقع فيما وقع فيه من سبق ، وأن الاعتناء بالسلامة من وقوع الغير فى الإثم أولى من تركه يقع فى الإثم ، وتحصيل الأجر للموقوع فيه .

٣ – استعمال التوطئة فيما يحتاج إليه من الكلام .

٤ – فيه خدمة الأجانب للمرأة من وراء حجاب .

٥ – توجه المرأة لقضاء شأنها وحدها ، وبغير إذن خاص من زوجها ، بل اعتماداً على الإذن العام المستند إلى العرف العام .

٦ – صيانة المال ولو قل للنهى عن إضاعة المال ، فإن عقد عائشة لم يكن من ذهب ولا جوهر .

٧ – فيه شؤم الحرص على المال لأنها لو لم تطل فى التفتيش لرجعت بسرعة ، فلما زاد على قدر الحاجة كان ما جرى .

---

(١) حديث حسن . أخرجه عبد الرزاق (٩٧٤٩) ، وأبو داود (٤٤٧٤) ، (٣١٨١) ، وابن ماجه (٣١٨١) .

وقريب منه قصة المتخاصمين ، حيث رفع علم ليلة القدر بسببهما ، فإنهما لم يقتصرا على ما لابد منه ، بل زادا فى الخصام حتى ارتفعت أصواتهما ، فأثر ذلك بالرفع المذكور ، وغير ذلك من المصالح .

٨ – الاسترجاع عند المصيبة .

٩ – تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبى .

١٠ – إغاثة الملهوف ، وعون المنقطع ، وإنقاذ الضائع .

١١ – إكرام ذوى القدر ، وإيثارهم بالركوب .

١٢ – حسن الأدب مع الأجانب خصوصاً النساء لا سيما فى الخلوة .

١٣ – ملاطفة الزوجة ، وحسن عشرتها ، والتقصير من ذلك عند إشاعة ما يقتضى النقص ، وإن لم يتحقق ، وفائدة ذلك أن تتفطن لتغيير الحال فتعتذر ، أو تعترف .

١٤ – لا ينبغى لأهل المريض أن يعلموه بما يؤذى باطنه لئلا يزيد ذلك فى مرضه .

١٥ – الإشارة إلى مراتب الهجران بالكلام والملاطفة ، فإن كان السبب محققاً فيترك أصلاً ، وإن كان مظنوناً فيخفف ، وإن كان مشكوكاً فيه أو محتملاً فيحسن التقليل منه لا العمل بما قيل ، بل لئلا يظن بصاحبه عدم المبالاة بما قيل فى حقه لأن ذلك من خوارم المروءة .

١٦ – ذب المسلم عن المسلم خصوصاً من كان من أهل الفضل ، وردع من يؤذيهم ، ولو كان مفهم بسبيل .

١٧ – بيان فضيلة أهل بدر .

١٨ – البحث عن الأمر القبيح إذا أشيع ، وتعرف صحته وفساده بالتنقيب على من قيل فيه هل وقع منه قبل ذلك ما يشبه أو يقرب منه ، واستصحاب حال من اتهم بسوء إذا كان قبل ذلك معروفاً بالخير إذا لم يظهر عنه بالبحث ما يخالف ذلك .

١٩ – مشروعية التسبيح عند سماع ما يعتقد السامع أنه كذبٌ .

٢٠ – أن النبى ﷺ كان لا يحكم لنفسه إلا بعد نزول الوحى لأنه

ﷺ لم يجزم فى القصة بشيءٍ قبل نزول الوحى .

٢١ – التعصب لأهل الباطل يخرج عن اسم الصلاح .

٢٢ – الندب إلى قطع الخصومة ، وتسكين ثائرة الفتنة ، وسد ذريعة ذلك ، واحتمال أخف الضررين بزوال أغلظهما .

٢٣ – فضل احتمال الأذى .

٢٤ – مباعدة من خالف الرسول ﷺ ، ولو كان قريباً حميماً .

٢٥ – فيه أن من آذى النبى ﷺ بقول أو فعل يقتل ، لأن سعد بن معاذ أطلق ذلك ولم ينكره النبى ﷺ .

٢٦ – مساعدة من نزلت فيه بلية بالتوجع والبكاء والحزن .

٢٧ – تثبت أبى بكر الصديق فى الأمور ، لأنه لم ينقل عنه فى هذه القصة مع تمادى الحال فيها شهراً كلمة فما فوقها .

٢٨ – تقديم الكبير فى الكلام ، وتوقف من اشتبه عليه الأمر فى الكلام .

٢٩ – تبشير من تجددت له نعمة أو اندفعت عنه نقمة .

٣٠ – معذرة من انزعج عند وقوع الشدة لصغر سن ونحوه .

٣١ – تدريج من وقع فى مصيبة فزالت عنه لئلا يهجم على قلبه الفرح من أول وهلة فيهلكه ، يؤخذ ذلك من ابتداء النبى ﷺ بعد نزول الوحى ببراءة عائشة بالضحك ، ثم تبشيرها ثم إعلامها ببراءتها مجملة ، ثم تلاوته الآيات على وجهها .

٣٢ – فيه أن الشدة إذا اشتدت أعقبها الفرج .

٣٣ – فضل من يفوض الأمر لربه ، وأن من قوى على ذلك خف عنه الهم ، والغم كما وقع فى حالتى عائشة قبل استفسارها عن حالها ، وبعد جوابها بقولها : والله المستعان .

٣٤ – من حلف ألا يفعل شيئاً من الخير استحب له الحنث .

٣٥ – جواز الاستشهاد بآى القرآن فى النوازل .

٣٦ – التأسى بما وقع للأكابر من الأنبياء وغيرهم .

٣٧ – ذم الغيبة وذم سماعها ، وزجر من يتعاطاها لا سيما إن تضمنت تهمة المؤمن بما لم يقع منه .

**وهكذا ينتهي أكبر موقف حزين في حياة الرسول ﷺ ، وكان مليئاً بالعظات والعبر .**

obeikandl.com

# حزنٌ لوفاة المرأة السوداء

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن امرأة سوداء ، كانت تقم المسجد ، فماتت ، فسأل النبى ﷺ عنها ، فقالوا : ماتت .

قال : « **أفلا كنتم آذنتمونى بها ، دلونى على قبرها** »[1]، فأتى قبرها فصلى عليها .

إنه موقفٌ من المواقف الحزينة التى مرت فى حياة نبينا ﷺ ولكن لنتعرف على تفاصيل الموقف كما جاءت .

لقد كانت امرأة سوداء تقوم بكنس المسجد النبوى بعد انتهاء الصلوات فقول أبى هريرة : تقم المسجد ، بقافٍ مضمومة أى تجمع القمامة ، وهى الكناسة .

ولكن لقد وافتها المنية ، ولم يعلم الرسول ﷺ بوفاتها حتى دُفنت فى قبرها بعد الصلاة عليها .

وهنا نجد رسولنا ﷺ الذى اتصف بالتواضع ، والرفق بأمته ، والسؤال عن أحوالهم ، والقيام بأمورهم ، والبحث عن شئونهم ، والاهتمام بمصالحهم فى آخرتهم ودنياهم .

يسأل النبى ﷺ عن المرأة السوداء ، فيخبر أنها قد ماتت ، ودُفنت فى قبرها ، وهنا بأسى وحزنٍ ، يقول الرسول ﷺ :

« **أفلا كنتم آذنتمونى بها** » .

أى : أفلا أعلمتمونى بموتها قبل دفنها ، وفى هذا دليل على استحباب الإعلام بالميت .

ثم ذهب الرسول ﷺ إلى قبرها ، وصلى عليها صلاة الجنازة ، رحمة بها ، وشفقة عليها ، فإن صلاته ﷺ نورٌ وبركة على قبرها .

---

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٤٥٨) ، (٤٦٠) ، ومسلم (٩٥٦) ، وابن حبان (٧٥٩) وغيرهم .

وهذا الموقف النبوى يعلمنا ما يلى :

١ – فضل تنظيف المسجد ، وعظم ثوابه عند الله تعالى .

٢ – محبة من يقومون بأداء أعمالاً ابتغاء وجه الله تعالى .

٣ – المكافأة بالدعاء ، والترغيب فى شهود جنائز أهل الخير .

٤ – ندب الصلاة على الميت الحاضر عند قبره لمن لم يصل عليه .

٥ – كثرة شفقة الرسول ﷺ على أمته .

**ونكمل المسير مع الدموع والأحزان التى عاش فيها سيد المرسلين ﷺ .**

obeikandl.com

# حزنٌ لمقتل حمزة بن عبد المطلب

يروى جعفر بن عمرو الضمرى هذا الموقف الأليم ، فيقول :

خرجت مع عبيدالله بن عدى ، فلما قدمنا حمص قال لى عبيدالله : هل لك فى وحشى نسأله عن قتل حمزة ؟ قلت : نعم ، وكان وحشىٌّ يسكن حمص ، فسألنا عنه ، فقيل لنا : هو ذاك فى ظل قصره كأنه حميت[1].

قال : فجئنا حتى وقفنا عليه بيسير ، فسلمنا ، فرد السلام .

قال : وعبيدالله مُعتجِرٌ[2] بعمامته ما يرى وحشىٌّ إلا عينيه ورجليه .

فقال عبيدالله : يا وحشى أتعرفنى ؟ قال : فنظر إليه ، ثم قال : لاوالله ، إلا أنى أعلم أن عدى بن الخيار تزوج امرأة يقال لها : أم قتالٍ بنت أبى العيص ، فولدت له غلاماً بمكة ، فكنت أسترضعُ له[3]، فحملتُ ذلك الغلامَ مع أمه فناولتها إياه ، فلكأنى نظرتُ إلى قدميك .

قال : فكشف عبيدالله عن وجهه ، ثم قال : ألا تخبرُنا بقتل حمزة ؟ قال : نعم ، إن حمزة قتل طُعيمة بن عدى ببدرٍ ، فقال لى مولاى جبير بن مُطعم : إن قتلتَ حمزة بعمِّى فأنت حر .

قال : فلما أن خرج الناسُ[4] عام عينين – وعينين جبلٌ بحيال أحد[5]، بينه أحد ، بينه وبينه واد – خرجتُ مع الناس للقتال ، فاما اصطفوا للقتال خرج سِباعٌ فقال : هل من مُبارزٍ ؟ قال : فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب

---

(١) أى : زق كبير ، وأكثر ما يقال ذلك إذا كان مملوءاً .

(٢) أى : لاف عمامته على رأسه من غير تحنيك .

(٣) أى : أطلب له من يرضعه .

(٤) أى : قريش ومن معهم .

(٥) عام عينين أى سنة أحد ، وقوله « عيني جبل .. أحد » أى من ناحية أحد ، يقال : فلان حيال كذا أى مقابله .

والسبب فى نسبة وحشى العام إليه دون أحد أن قريشاً كانوا نزلوا عنده .

قال ابن إسحاق : نزولا بعينين جبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى مقابل المدينة .

فقال : يا سِباعُ ، يابن أمِّ انمر مقطعة البُظور[٢]، أتُحادُّ[٣] اللهَ ورسوله ؟ .
قال ثم شدَّ عليه ، فكأنه كأمسى الذاهب[٤].

قال : وكمنت[٥] لحمزة تحت صخرة ، فلما دنا منى رميته بحربتى ، فأضعها فى ثُنَّتِه[٦] حتى خرجتْ من بين وركيه ، قال : فكان ذاك العهدَ به .

فلما رجع الناس[٧] رجعتُ معهم ، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام ، ثم خرجت إلى الطائف فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رُسَلاً ، فقيل لى : إنه لا يهيج الرسل[٨]، قال : فخرجت معهم حتى قدمتُ على رسول الله ﷺ ، فلما رآنى قال : « **آنت وحشى ؟** » قلت : نعم ، قال : « **أنت قتلت حمزة ؟** » .

قلت : قد كان منَ الأمر ما بلغك . قال : « **فهل تستطيعُ أن تُغيب وجهك عنى** » .

قال : فخرجت ، فلما قُبض رسول الله ﷺ فخرج مُسيلمة الكذاب ، قلت : لأخرجن إلى مسيلمة لعلى أقتله فأكافى به حمزة[٩].

قال : فخرجت مع الناس فكان من أمرى ما كان[١٠].

قال : فإذا رجلٌ قائمٌ فى ثلمة جدارٍ كأنه جملٌ أورقُ ثائر الرأس ، قال : فرميته بحربتى ، فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه .

قال : ووثب رجلٌ من الأنصار فضربه بالسيف على هامته .

---

(١) هى أمه ، كانت مولاة لشريق بن عمرو

(٢) البظور : جمع بظر ، وهى اللحمة التى تقطع من فرج المرأة عند الختان ، وكانت أمه ختانة بمكة تختن النساء .
والعرب تطلق هذا اللفظ فى معرض الذم ، وإلا قالوا : خاتنة .

(٣) أتُحادُّ : أى أتعاند ، وأصل المحادة أن يكون ذا فى حدٍ ، وذا فى حدٍ ،ثم استعمل فى المحاربة والمعاداة .

(٤) كناية عن قتله أى صيره عدماً (٥) كمنت : اختفيت .

(٦) هى العانة ، وقيل : مابين السرة والعانة .

(٧) أى إلى مكة . (٨) أى : لا ينالهم منه إزعاج . (٩) أى أساويه به

(١٠) أى من محاربته ، وقتل جمعٌ من الصحابة فى الوقعة التى كانت بينهم وبينه ، ثم كان الفتح للمسلمين بقتل مسيلمة .

فقالت جاريةٌ على ظهر بيتٍ : وا أمير المؤمنين ، قتله العبد الأسود[1].

موقفٌ حزينٌ عاشه النبى ﷺ بمقتل عمه حمزة بن عبدالمطلب – رضى الله عنه – يقول أبو هريرة – رضى الله عنه – واصفاً هذا الموقف الحزين فى كلمات فيقول :

وقف رسول الله ﷺ على حمزة حين استشهد ، فنظر إلى شيء لم ينظر إليه شيء قط كان أوجع لقلبه منه .

ونظر إليه قد مُثل به ، فقال ﷺ :

**« رحمة الله عليك ، فإنك كنت – ما علمت – فعولاً للخيرات ، وصولاً للرحم ، ولولا حزنٌ من بعدك عليك لسرنى أن أدعك حتى تحشر من أفواه شتى .**

**أما والله مع ذلك لأمثلن بسبعين منهم مكانك »** فنزل جبريل ، والنبى ﷺ واقف بعد بخواتم النحل .

**﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عُوقبتم به ﴾**[2] إلى آخر السورة .

فصبر النبى ﷺ ، وأمسك عما أراد[3].

إنه موقف الأسى والحزن للتمثيل بالجسد الطيب ، فكيف لا يحزن الرسول ﷺ ؟!.

لكنه حزن الشفقة ، والرحمة ، ودموع المحبة ، والأسى .

إنه حزن من يكره أن يرى من أوصل إلى قريبه أو صديقه أذى .

فياله من صدقٍ فى المحبة ، وياله من صدقٍ فى الحزن .

فرضى الله عن حمزة فى العالمين ، وسلامٌ على المرسلين .

---

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٤٠٧٢) ، وأحمد (٥٠١/٣) ، وانظر سيرة ابن هشام (١٥/٣ – ١٨) ، والطبرانى (٢٩٤٧) فى الكبير .

(٢) سورة النحل : ١٢٦ .

(٣) إسناده ضعيف . وله شواهد . أخرجه الحاكم (١٩٧/٣) ، والطبرانى (٢٩٣٧) فى الكبير ، والبزار . (١٦٢/١) ، وفيه صالح المرى من الضعفاء .

لكن له شاهدٌ من حديث أبى بن كعب ، أخرجه الترمذى (٥١٣٦) ، والحاكم (٣٥٩/٢) ، والطبرانى (٢٩٣٨) فى الكبير ، وعبدالله فى زوائد المسند (١٣٥/٥) ، وابن حبان (١٦٩٥) .

وانظر : فتح البارى (٣٧١/٧ – ٣٧٢) .

# دموعٌ وأحزانٌ عند سكرات الموت

روت أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – :

**أن رسول الله ﷺ وهو بالموت كان بين قدح فيها ماء ، فجعل يدخل يده فى الماء فيمسح بها وجهه ، ويقول :**

**« لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات » ثم نصب يده فجعل يقول :**

**« اللهم أعنى على غمرات الموت وسكرات الموت » .**

**ثم جعل يقول : « فى الرفيق الأعلى »[1] حتى قُبض ، ومالت يده .**

إنه آخر موقف فيه الدموع والأحزان يحياه الرسول ﷺ ، إنه فى آخر الأنفاس له فى دار الدنيا .

فقولها « **وهو بالموت** » أى مشغولٌ أو ملتبس به .

وقوله « **إن للموت سكرات** » أى شدائده ، جمع سكرة ، بسكون الكاف ، وهى شدة الموت .

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٤٤٤٩) ، (٦٥١٠) ، أحمد (٦/٦٤ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ١٥١) ، والترمذى (٩٨٥) ، وابن ماجه (١٦١٩) .

# وصف السلف الصالح لسكرات الموت

● قالت عائشة – رضى الله عنها – :

لا أغبط أحداً يهون عليه الموت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ .

●● لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة ، قال له ابنه عبدالله :

يا أبتاه ، إنك لتقول لنا ليتنى كنت ألقى رجلاً عاقلاً لبيباً عند نزول الموت ، حتى يصف لى ما يجد ، وأنت ذلك الرجل فصف لى الموت ؟ .

فقال عمرو : يا بنى ، والله كأن جنبى فى تخت[1]، وكأن السماء قد انطبقت على الأرض ، وأنا بينهما ، وكأنى أتنفس من سم إبرة ، وكأن غصن شوكٍ يجذب من قدمى إلى هامتى .

●●● قال شداد بن أوس – رضى الله عنه – :

الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن ، وهوأشد من نشر بالمناشير ، وقرض بالمقاريض ، وغلى فى القدور ، ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما أنتفعوا بعيشٍ ، ولا لذوا بنومٍ . .

أما قوله : « **أعنى على غمرات الموت** » ، أى شدائده أيضاً ، والمعنى : اللهم أعنى على دفعها ، فغمرة الشىء شدته .

هكذا يعانى رسولنا ﷺ فى آخر أنفاسه من شدة الموت وسكراته وليس ذلك عن نقصٍ فى مرتبته عند الله تعالى ، لكن هى زيادة فى حسناته ، ورفعة فى درجاته .

**أخى المسلم ... أختى المسلمة ..**

هل أخذتم الزاد لسكرات الموت ؟ .

هل أعددتم العدة لغمرات الموت ؟ .

يروى وهيب بن الورد أن الله تعالى أوحى إلى نبى من أنبيائه :

---

(١) التخت : وعاءٌ تصان فيه الثياب ، فارسى ، وقد تكلمت به العرب .

إنى لا أخرج أحداً من الدنيا ، وأنا أريد أن أرحمه حتى أوفيه بكل خطيئة كان يعملها سقماً فى جسده ، ومصيبة فى أهله ، وضيقاً فى معاشه ، وإقتاراً فى رزقه ، حتى أبلغ منه مثاقيل الذر ، فإن بقى عليه شيء شددت عليه الموت حتى يفضى إلىَّ كيوم ولدته أمه .

وعزتى لا أخرج عبداً من الدنيا ، وأنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه بكل حسنة عملها صحة فى جسده ، وسعة فى رزقه ، ورغداً فى عيشه ، وأمناً فى سربه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر ، فإن بقى له شيء هونت عليه الموت حتى يفضى إلىَّ ، وليس له حسنة يتقى بها النار .

**أخى المسلم .. أختى المسلمة ..**

إن سكرات الموت أفظع هول فى الدنيا ، فهى أشد من نشرٍ بالمناشير ، وغلى فى القدور ، وأشد من ألف ضربة بالسيف .

ويقول القرطبى رحمه الله : لتشديد الموت على الأنبياء فائدتان :

**إحداهما** : تكميل فضائلهم ، ورفع درجاتهم ، وليس ذلك نقصاً ، ولا عذاباً ، بل هو كما جاء أن أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل ، فالأمثل .

**والثانية** : أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت ، وأنه باطن ، وقد يطلع الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ، ولا قلقاً ، ويرى سهولة خروج روحه ، فيظن سهولة أمر الموت ، ولا يعرف ما الميت فيه ، فلما ذكر الأنبياء الصادقون فى خبرهم شدة ألمه مع كرامتهم على الله تعالى ، قطع الخلق بشدة الموت الذى يقاسيه الميت مطلقاً لإخبار الصادقين عنه .

فاللهم هون علينا من سكرات الموت ، وأعنى عند غمرات الموت .

إنك نعم المولى ، ونعم النصير .

**أخى المسلم .. أختى المسلمة ..**

قد آن للنائم أن يستيقظ من نومه ، وحان لكل غافلٍ أن ينتبه من غفلته قبل هجوم الموت بمرارة كأسه ، وقبل سكون حركاته ، وخمود أنفاسه ، ورحلته إلى قبره ، ومقامه فى صندوقه .

ولله در ابن الجوزى ، وهو يقول :

كم سقى الموت من الحسرات كئوساً ؟!
كم طمس بدوراً وشموساً ؟! .
وكم استلب نعيماً ثم أعطى بؤساً ؟!.
وكم أذل جابرة كانوا شوساً ؟! .
وكم أغمض عيوناً ونكس رءوساً ؟! .
وكم أبدل التراب عن الثياب ملبوساً ؟! .

هيا جدد إيمانك أخى المسلم ، وأنت أختى المسلمة ، واتخذوا من حياة رسولنا ﷺ لكم أسوة حسنة .

وإلى هنا ينتهى كتاب دموع وأحزان

مع أمل بلقاءٍ آخر مع الرسول ﷺ وشمائله

والسلام عليكم ورحمة الله

وبركاته

مجدى فتحى السيد إبراهيم

obeikandl.com

obeikandl.com

# الفهرس


| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| تقديم | ٥ |
| بين يدى الكتاب | ٧ |
| دموعٌ عند سماع القرآن | ١٣ |
| بكاء السلف الصالح عند سماع القرآن | ١٥ |
| أنين وبكاء فى الصلاة | ١٧ |
| دموع خوفاً من عقاب الله | ١٩ |
| دموع الرحمة لموت الحفيد | ٢٢ |
| دموع وأحزان لوفاة عثمان بن مظعون | ٢٦ |
| رأيت عينيه تدمعان | ٢٨ |
| بكاءٌ خوفاً على الأم | ٣٠ |
| بكاء فى بيت سعد بن عبادة | ٣٢ |
| تحليل الموقف النبوى | ٣٤ |
| بكاء عند قبر الأم | ٣٧ |
| دموع فى الجنائز | ٤٠ |
| حزن واستغاثة يوم بدر | ٤٤ |
| دموع وأسى يوم أحد | ٤٧ |
| عام الحزن فى حياة الرسول ﷺ | ٥١ |
| دموع وأحزان فى الطائف | ٥٣ |
| أحزان لانقطاع الوحى | ٥٥ |
| حزن طويل فى موقف أليم | ٦١ |
| أحزانه عند فراق الوطن | ٦٥ |




obeikandl.com

حادثة الحزن الأكبر ..... ٦٨
حزن لوفاة المرأة السوداء ..... ٨٣
حزن لمقتل حمزة بن عبد المطلب ..... ٨٥
دموع وأحزان عند سكرات الموت ..... ٨٨
وصف السلف الصالح لسكرات الموت ..... ٨٩
الفهرس ..... ٩٣

obeikandl.com

obeikandl.com

رقم الإيداع : ٨٩ ٤٥ — ٩٢